الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الرقم التسلسلي:
رقم التسجيل: ط1:
ط2:

الأوقاف خلال العهد العثماني

بايلك الشرق أنموذجا (1518-1830م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في:

شعبة: التاريخ **تخصص: تاريخ الجزائر الحديث**

إعداد الطالبتين:
جلود دينار
نغموش عبلة

إشراف الدكتور:
تاحي إسماعيل

لجنة المناقشة		
اسم ولقب الأستاذ	المؤسسة الجامعية	الصفة
أ.د.السعيد قاصري	جامعة محمد بوضياف المسيلة	رئيسا
د.تاحي إسماعيل	جامعة محمد بوضياف المسيلة	مشرفا ومقررا
د.بودرواز عبد الحميد	جامعة محمد بوضياف المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2020-2021

شكر وعرفان

إلى كل من علمني حرفا في هذه الدنيا الفانية

أول من يشكر وبحمده آناء الليل وأطراف النهار هو العلي القدير الأول والآخر والظاهر والباطن، الذي أغرقنا بنعمة التي لا تحصى وأغدق علينا برزقه الذي لا يفنى وأنار دربنا فله جزيل الحمد والثناء العظيم هو الذي أنعم علينا إذ أرسل فينا عبده ورسوله محمد بن عبد الله عليه أزكى الصلوات وأطهر التسليم أرسلة بقرآنه المبين فعلمنا ما لم نكن نعلم وحثنا على طلب العلم أينما وجد

الحمد لله كله والشكر كله أن وفقنا وألهمنا الصبر على المشاق التي واجهتنا لإنجاز هذا العمل المتواضع

والشكل موصول إل كل معلم أفادنا بعلمه، من أولى مراحل الدراسة حتى هذه اللحظة

كما نرفع كلمة شكر إلى الدكتور المشرف "تاحي إسماعيل" الذي ساعدنا في إنجاز بحثنا

كما نشكر كل من مد لنا يد العون من قرب أو بعيد

إهداء

أهدي هذا البحث إلى:

من ساندتني في صلاتها ودعائها..إلى من سهرت ليالي تنير دربي إلى من شاركتني أفراحي إلى نبع العطف والحنان إلى أجمل ابتسامة في حياتي إلى أروع امرأة في الوجود

أمي الغالية

إلى كل من علمني أن الدنيا كفاح...وسلاحها العلم والمعرفة إلى الذي لم يبدل عليّ بأي شيء...إلى من سعى لأجل سعادتي وراحتي ونجاحي

إلى أعظم وأعز رجل في الكون أبي العزيز

أهدي تخرجي هذا إلى من كان سندا وعونا إلى من زرع في نفسي حب العمل والعلم فصار عنوان لنجاحي ورافقني بالصعود إلى القمة زوجي الغالي حفظه الله لي

إلى أهل زوجي الذي أطال الله في عمرهما

وإلى أهل أبي وأمي وفقهم الله وحفظهم

إلى الذين ظفرت بهم هدية من الأقدار إخوة فعرفوا معنى الأخوة إخوتي الأحباء

فريال، مايسة، نجيب، رياض، هشام

أقدم إهداء خاص إلى كافة زملاء الدراسة

وإلى صديقاتي العزيزات من كن برفقتي ومصاحبتي أثناء الدراسة الجامعية

وإلى روح جدي وجدتي رحمهما الله

جلود دينار

إهداء

إلى من هو قدوتي وسرت على خطاه

إلى من تعب لأجل راحتي وكان سندي والدي الحبيب أطال الله عمره وحفظه لي

إلى من سهرت الليالي من أجلي وبعثت في الروح وزرعت الإرادة والدتي الحبيبة

أطال الله عمرها وحفظها لي

إلى زوجي حفظه الله وكل عائلته دون أن نسى إخواني وأخواتي أدامهم الله

إلى البراعم الصغار وبسمة البيت إيمان، شيماء، عمار، عبد الباقي، شفاء

إلى سيف الإسلام وبسمة وهارون

وإلى كل الأصدقاء والأحباب

عبلة

مقدمة

مقدمة:

تعتبر الأوقاف أهم المؤسسات الدينية في الجزائر منذ القديم إلى يومنا هذا، وإذا كانت الأوقاف قد ارتبطت في الجزائر بقرون مضت بداية من الفتح الإسلامي، إلا أنها برزت بشكل واضح في الفترة العثمانية، حيث كان لها دور كبير على المستوى الديني، الثقافي، العلمي وحتى السياسي، وإذا كانت الأوقاف في هذه الفترة قد غطت مختلف مناطق الجزائر المحروسة، إلا أننا فضلنا دراسة موضوع الأوقاف في بايلك الشرق، وفي هذا السياق جاء موضوعنا الموسوم بـ: «**الأوقاف خلال العهد العثماني في بايلك الشرق أنموذجا 1518-1830م**».

أسباب اختيار الموضوع:

أ-عوامل موضوعية:

هناك جملة من العوامل دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع، كمذكرة ماستر ونذكر من بينها:

أولا: الموضوع يكتسي أهمية كبيرة كونه يرتبط بالجانب الثقافي في الفترة العثمانية، والذي بدروه أسال الكثير من الحبر وشكل نقطة سجال بين المؤرخين حول علاقة الحكام العثمانيين ومسؤوليتهم عن الواقع الثقافي في الفترة المذكورة.

ثانيا: ما لبايلك الشرق وعاصمته قسنطينة من أهمية ثقافية، دينية وحضارية جعلت منه إقليما مميزا من هاذين الجانبين.

ثالثا: محاولة التعرف على دور المؤسسات الوقفية في تحسين الواقع الثقافي والمحافظة على ثقافة المجتمع الجزائري أثناء الفترة العثمانية.

رابعا: محاولة المساهمة في إثراء هذا الموضوع، وتوفير مرجع للطالب في المستقبل للعودة إليه من خلال توفير في مكتبة قسم التاريخ.

خامسا: موضوع المؤسسات الوقفية في العهد العثماني يتماشى مع صلب التخصص الذي ندرسه.

ب-عوامل ذاتية:

أولا: ميولنا الشخصي لدراسة وطرق موضوع الأوقاف والغوص في أعماق هذا الموضوع.

ثانيا: تعرضنا لهذا الموضوع في مقياس الحياة الثقافية هي سن أولى ماستر وتلك الفترة بدأنا التفكير جديا في اختيار هذا الموضوع.

حدود الدراسة:

تتمحور دراستا لهذا الموضوع للفترة الزمنية ممتدة من 1518 وهو تاريخ دخول الجزائر تحت الحكم العثماني إلى غاية 1830 تاريخ نهاية الحكم العثماني، ورغم أنها فترة طويلة تغطي كل مراحل التواجد العثماني في الجزائر، إلا أنها سمحت لنا بالتعرف على الأوقاف ومراحل تطورها.

الإشكالية:

تتمحور إشكالية موضوعنا حول الأوقاف في مدينة قسنطينة في العهد العثماني، وذلك بالبحث عن المؤسسات الوقفية، واقعها، ومراحلها، وعلاقتها بالموقع الثقافي، وتندرج تحت هذا الإشكال المحوري مجموعة من الأسئلة الفرعية تتمثل في:

- كيف كان دخول مدينة قسنطينة تحت الحكم العثماني؟
- كيف ساهمت ظروف المدينة السياسية في تشجيع حركة الأوقاف؟
- ما هي أهم المؤسسات الوقفية وما علاقة المؤسسات العلمية بالأوقاف ومن هم أهم علماء المدينة أهم البيوتات العلمية؟

الخطة:

سمحت لنا المادة العلمية التي تمكنا من الاطلاع عليها إلى تقسيم موضوعنا إلى: مقدمة، فصل تمهيدي، وثلاث فصول أخرين وخاتمة.

تناولنا في المقدمة التعريف بالموضوع، أسباب الاختيار، حدود الدراسة، الإشكالية، المناهج، الخطة، أهم المصادر والمراجع، وصعوبات البحث.

الفصل التمهيدي جاء بعنوان: "التعريف ببايلك الشرق جغرافيا وتاريخيا وإداريا، وشمل ثلاث مباحث هي:

المبحث الأول: التعريف الجغرافي والتاريخي، أما المبحث الثاني: التعريف الإداري، والمبحث الثالث: مميزات مدينة قسنطينة.

بينما عنونا الفصل الأول بـ: "الأوقاف في مدينة قسنطينة"، واحتوى على ثلاث مباحث.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للوقف، المبحث الثاني: أنواع الوقف، المبحث الثالث: أهم المؤسسات الوقفية.

وتطرقنا في الفصل الثاني إلى "المساجد والزوايا في قسنطينة وعلاقتها بالأوقاف"، واندرج تحت ثلاث مباحث.

المبحث الأول: أشهر المساجد، أما المبحث الثاني: الزوايا، والمبحث الثالث: أشهر علماء قسنطينة.

ودرسنا الفصل الثالث: "المؤسسات التعليمية وعلاقتها بالأوقاف".

المبحث الأول: المدارس، المبحث الثاني: الكتاتيب، المبحث الثالث: البيوتات العلمية، حيث رصدنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها وشفعنا الموضوع بملاحق توضيحية وقوائم فهارس البيبليوغرافية والمواضيع.

المنهج:

طبيعة الدراسة فرضت علينا اختيار منهج يتوافق مع بحثنا هذا، والمتمثل في المنهج التاريخي الوصفي، الذي استخدمناه في وصف المؤسسات الوقفية في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، إضافة إلى المنهج التحليلي، كما استعنا بالمنهج المقارن عندما تعرضنا لوصف المدينة.

أهم المصادر والمراجع:

اعتمدنا في بحثنا على جملة من المصادر والمراجع، تنوعت بين كتب ودوريات، التي تمكنا من الحصول عيها، من أهمها:

- عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في ذكر الزوايا والمدارس بمدينة قسنطينة.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، في التعريف بالكتاتيب، كما اعتمدنا أيضا على مجلة جامعة قسنطينة من خلال المقال الذي كتبه البروفيسور عبد العزيز فيلالي بعنوان جوانب من الحياة الثقافية والفكرية لمدينة قسنطينة الصادرة في أفريل 1988 في ذكر ظهور البيوتات في مدينة قسنطينة.

الصعوبات:

ومن الصعوبات التي واجهتنا كثرة المادة العلمية، وكثرة الكتابات والمذكرات الجامعية وأكاديمية التي تناولت هذا الموضوع، مما صعب علينا استيعاب كل هذه المعلومات وترتيبها وتصنيفها وتوظيفها، وفق ما يخدم موضوعنا، إضافة إلى الظروف الاستثنائية التي تمر بها (جائحة كرونا)، والذي حد من نشاطنا وبحثنا خلال هذه الفترة.

الفصل التمهيدي

التعريف ببايلك الشرق جغرافيا وتاريخيا وإداريا

المبحث الأول: التعريف الجغرافي والتاريخي

المبحث الثاني: التعريف الإداري

المبحث الثالث: مميزات مدينة قسنطينة

قبل التطرق لموضوع الأوقاف في بايلك الشرق، وتحديدا قسنطينة، وقبل الدخول في الموضوع خليقا بنا أن نبدأ موضوعنا بالتعريف الجغرافي والتاريخي لبايلك الشرق وعاصمة الإقليم تحديدا قسنطينة، هذه التي ورد ذكرها في العديد من المصادر الجغرافية والتاريخية القديمة منها والحديثة، ولا نبالغ إن قلنا هذه المدينة التي كتب عنها المؤرخون والجغرافيون والرحالة، هي أيضا كانت قد ألهمت الأدباء والشعراء الجزائريين والعرب.

وبالعودة إلى التعريف لهذه المدينة في المبحث المعنون بـ:

المبحث الأول: التعريف الجغرافي والتاريخي

وهي كما أسلفنا الذكر، من المناطق التي حظيت بالدراسات الجغرافية، وهذا يعود إلى موقعها الاستراتيجي الهام، إذ تتوسط البايلك، مما يسهل عملية الربط والتحكم في مختلف نواحي الإقليم هذا من جهة، ومن جهة أخرى مكنتها من أن تشرق على السهول المحيطة بها، وأن تكون غير بعيدة عن منطقة الساحل، أما المدينة فقد أسست على إحدى الصخور الجبلية المنيعة، والتي تحيط بها الأودية من كل الجهات تقريبا، غير أنها تنفتح من الغرب على سهول منبسطة، شكلت المدخل الوحيد للمدينة، وبهذا التعريف الجغرافي قد تكون قسنطينة أقرب إلى القلعة الحصينة، وهبتها الطبيعة موقعا وحصانة، حيث جعلتها في الكثير من الفترات التاريخية صعبة المنال على الغزاة والمحتلين.[1]

ونتيجة لهذا الموقع الجغرافي المتفرد، فقد وردت في كتب الجغرافيين والرحالة، فهذا الرحالة العربي المعروف وهو ياقوت الحموي، يصفها في كتابه المشهور "معجم البلدان" «أن قسنطينة بضم أوله وفتح ثانيه وكسر الطاء والياء مثناه من تحت ونون أخرى من بعدها ياء حقيقة وهاء» مدينة وقلعة، ويقال لها قسنطينة الهواء، وهي قلعة كبيرة جدا، حصينة، عالية لا يصلها الطير إلى بجهة، وهي من حدود إفريقية مما يلي المغرب.[2]

[1] – زيارة قامت بها الطالبات إلى المدينة وضواحيها بتاريخ: 10 مارس 2021.

[2] – أبي عبد الله شهاب الدين الياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، دار البصائر، بيروت، لبنان، 1977، ص 349.

وإذا كانت قسنطينة قد وصفها ياقوت الحموي هذا الوقف في كتابه "معجم البلدان"، فإنها جاءت في كتاب تقويم البلدان لأبي القدماء «قسنطينة إنها نهر يصب في خندقها العظيم، ويسمع لذلك دوي هائل، ويرى النهر في قعر الخندق ذوابة النجم لشدة ارتفاع قسنطينة عن خندقها، وهي على قطعة بجل متقطع مرتفع في بعض الاستدارة، لا يتوصل إليها إلا من جهة بابه من غريبها ليس بكبير الصنعة، ويحيط بقسنطينة من جميع جهاتها».[1]

وإذا كان ياقوت الحموي ركز على الجبل الذي أسست عليه المدينة، فإن أبو القدماء أسهب أيضا على هذا الجانب، مركزا على الأودية والأنهار التي تحيط بجوانب هذه المدينة العريقة.

أما المؤرخ العيدوي، فقد وصفها في كتابه الرحلة المغربية بقوله: «هي مدينة عجيبة حصينة، يحيط بها نهر حادر في خندق غير سالك بالصخرة التي تنتصب عليها، كما يحبط السوار بالمعصم، وتحصنها هذه الصخرة مثلما تحصن قمم الجبال عش الغراب الأعظم».[2]

والحق أن وصف هذه المدينة العتيقة لم يتوقف عند هؤلاء المؤرخين والرحالة السابق ذكرهم، فقد تطرق إليها الجغرافي الشهير الإدريسي في كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، واعتبرها أجمل وأحسن بلاد الله، حينما قال: «مدينة قسنطينة قطعة جبل متقطع مربع فيه بعض الاستدارة، يتوصل إليه من مكان، إلا من جهة الباب من غربها ويحيط بها الوادي من جميع جهاتها، وهي أحسن بلاد الله».[3]

[1] – عماد الدين إسماعيل أبي الفناء، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1830، ص 139.

[2] – محمد بن محمد علي العيدوي، الرحلة المغربية، تق: سعد بوفلاقة، مؤسسة بونة للبحث والدراسات الجزائرية، 2007، ص 58.

[3] – أبو عبد الله الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص ص205–206.

ويؤكد المقدسي ما ذهب إليه الإدريسي، بوصفه لها «هي كالقلعة بها المياه من ثلاث جهات».[1]

والحديث عن جغرافية هذه المدينة وحصانتها الطبيعة، يضيف حسن الوزان[2] في كتابه المعروف "وصف إفريقيا"، «هي الواقعة على جبل شاهق ومحاطة من جهة الجنوب بالصخور العالية، وفي الجانب الشمالي أسوار في غاية القوة، بالإضافة إلى أنها تقع القمة أعلى قمة الجبل».[3]

أما المؤرخ الرحالة الشهير "البكري"، فهو أيضا كان قد أدلى بدلوه في وصف المدينة، فقال: «هي مدينة كبيرة ذات حصانة، وهي تقع على ثلاثة أنهار أحاطت بها يخرج من العيون ثم بعيون أسفار وتقع هذه الأنهار في الخندق بعيد القعر ثم بين فوقين بيت ساورى حافتي الخندق، يعبر عليه إلى المدينة، ويظهر الماء في قعر الوادي من هذا البيت كالكوكب الصغير لعمقه وبعده، ويسمى هذا البيت العيون لأنه معلق في الهواء».[4]

وصفوة القول بأن قسنطينة بموقعها الجغرافي الساحر والحصين، قد جعلها مادة الرحالة والمؤرخين الذين وإن اختلقوا في دقة الوصف، إلا أنهم اتفقوا على حصانة المدينة وعلى طابعها الجغرافي المتميز، الذي كما ذكرنا ألهم هؤلاء الرحالة والمؤرخين، مثلما ألهم أيضا الشعراء والأدباء في مختلف الفترات التاريخية، ولعل ذلك ما جعلنا نسهب في هذا المبحث في الحديث عن جمال وجغرافية المدينة.

---

[1] – شمس الدين أبو عبد الله المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، دار صادر، بيروت، لبنان، 1909، ص 236.

[2] – نلاحظ بأن لفظ مدينة قسنطينة قد جاء في كتاب وصف إفريقيا باسم قسطنطينة، ينظر: حسن الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت، ص 55.

[3] – نفسه، ص 55.

[4] – أبي عبد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تح: جمال طالبة، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ص 244.

المبحث الثاني: التعريف الإداري

بعد أن قدمنا تعريفا جغرافيا لعاصمة البايلك قسنطينة، نتناول في المبحث الموالي التعريف التاريخي والإداري للمدينة، وللإقليم.

إن الحديث عن الإقليم وعاصمته قسنطينة تاريخيا وإداريا، يجرنا الحديث عن هذه المنطقة من الجزائر في فترة قد تكون سابقة للإطار الزماني لبحثنا، فبعد وصول عروج وخير الدين إلى مدينة جربة التونسية سنة 1512م، واتفاقهما مع حكام تونس على طرد الغزاة الأوربيين، توجها إلى مدينة جيجل سنة 1514م، وانتزعها من الإيطاليين واستقر بها.[1]

وبعد جيجل توجه الأخوان إلى مدينة بجاية، لكنهما لم ينجحا في تحريرها من سيطرة الإسبان، ثم جاء الدور على مدينة الجزائر التي توجه إليها بعد طلب النجدة الذي قدمه أهالي المدينة لعروج وأخيه خير الدين، فدخلاها عام 15187م، ومن مدينتي جيجل والجزائر ضموا إليها القل سنة 1512م ثم عنابة، لتأتي بعد كل هذه المدن مدينة قسنطينة.[2]

والحق أن الروايات قد تعددت حول التاريخ الفعلي لدخول العثمانيين لمدينة قسنطينة، نظرا لأن العثمانيين استقروا بها تدريجيا، إلا أن المؤكد هو أنه بعد ضعف الدولة الحفصية ووفاة حاكمها أبي عبد الله محمد بن الحسن سنة 1525م، انفصلت عنها العديد من الأجزاء من بينها قسنطينة، التي كانت من بين المناطق الأولى التي دخلت تحت سلطة العثمانيين.[3]

أما الحديث عن إقليم الشرق، فهو حديث عن أكبر إقليم مساحة فيما كان يعرف آنذاك بإيالة الجزائر، أما فيما يخص حدود إقليم قسنطينة وحدود هذا الإقليم الشاسع، الذي كان أهم أقاليم إيالة الجزائر ثروة، ومن أوسعها مساحة[4]، حيث يحده من الشمال البحر المتوسط، ومن الغرب قرية أولاد منصور ببجاية، أما من الناحية الشرقية فتحده مدن حدودية

---

[1] – محمد المهدي بن علي شغيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر، دار البعث، قسنطينة، 1985، ص 48.

[2] – صالح العنتري، تاريخ قسنطينة، مراجعة: يحي بوعزيز، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1991، ص 26.

[3] – ابن شغيب، المصدر السابق، ص ص 48–49.

[4] – ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 224.

كثيرة منها تقرب، تبسة والكاف حتى مدينة طبرقة داخل الحدود التونسية، أما فيما يخص أقصى الجنوب الغربي فينتهي حدود إقليم قسنطينة بين مدينتي سيدي هجرس وعين الحجل* التي تنتمي إلى إقليم التيطري.[1]

والجدير بالذكر أن هذا الإقليم كان يشهد أحيانا قيام الثورات والتمردات ضد الجباية والضرائب المفروضة، وكان يقوم بجمعها قبائل المخزن* والصبايحية**، وهم بدورهم من يقوم بقمع هذه الثورات.[2]

وقد اشتمل البايلك على عدة قيادات كبيرة، على رأس كل منها قائد يدير شؤونها، ويقوم بجباية الضرائب من سكانها، وكان موظفو البايلك يختارون من طرف الباي ويدفعون مقابل الحصول على هذه الوظائف رسوم التولية التي تدفع مسبقا، أما مقدارها فيختلف حسب أهمية الوظيفة التي تسند إلى الشخص.[3]

ونشير في هذا الصدد، إلى أن القبيلة أو العرش والتي يديرها القائد، تنقسم إلى مجموعة من السكان، الفرق يكون على رأس كل فرقة أحد الشيوخ، وتنقسم الفرقة بدورها إلى دواوير، وغالبا ما يكون تحت حكم قائد واحد العديد من القبائل.[4]

---

* – تابعتان حاليا إداريا لولاية المسيلة.

[1] – مصطفى عبيد، الجزائر في كتابات توماس (إسماعيل) أوربان 1812–1884، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008، ص 88.

* – قبائل المخزن: يعود أصل كلمة المخزن إلى تلك المؤسسة الإدارية التي أنشأها دول المغرب، والمتمثلة في الأعوان الإداريين المكلفين بحفظ وتسيير المحصولات والضرائب العينية المكدسة في المخازن، وقد تطور معنى هذا اللفظ ليشمل في الفترة الحديثة كل الموظفين الإداريين التابعين للبايلك، وأضحى في العهد العثماني يرادف كلمة سلطة أو حكومة، للمزيد أنظر: كاميلية دغموش، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة العثمانية (1509–1792م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، الجزائر، 2013–2014، ص 95.

** – الصبايحية: الخيال والفرسان في الجيش العثماني، واصطلح على استخدامه للدلالة على الخيالة صاحب الأرض الميري، الذي يشترك في الحرب مع أفراد من الذين كلفوا بإحضارهم للحرب، للمزيد أنظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1421هـ–2001م، ص 132.

[2] – ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 224.

[3] – ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص 325–326.

[4] – نفسه، ص ص 325–326.

وإن حاولنا التحدث عن أحسن فترات الحكم العثماني في قسنطينة، فنجد أن عصر صالح باي كان من أفضل العصور التي مرت بها المدينة، كونه اهتم بالتعليم، فأنشأ المؤسسات التعليمية، وشجع رجاله، كما عرف عصره بالازدهار الاقتصادي، حيث نتج عنه قلة الاضطرابات، لكن سرعان ما عادت إلى الظهور بعد مقتله.[1]

فكانت فترة حكم العثمانيين بعد مقلته قصيرة، حيث شهدت المدينة الفوضى والانقلابات والثورات، التي كانت نتيجة أسباب مختلفة، منها ما هو اقتصادي واجتماعي وديني.[2]

وصفوة القول، فإن هذا الإقليم كان قد دخل تحت السلطة العثمانية مبكرا، نتيجة إمكانياته الطبيعية والاقتصادية التي زادت من طمع العثمانيين في الإقليم، ورغم فترات التوتر وأحيانا الثورات التي يقوم بها السكان، إلا أن الإقليم قد عرف فيما بعد فترة الاستقرار والازدهار الاقتصادي، خصوصا في عهد صالح باي، حيث استفاد منها قطاع التعليم والثقافة، هذا الاهتمام الذي مكن الإقليم من الشروع في إنشاء مؤسسات علمية وثقافية، ذات ارتباط وثيق بالأوقاف.

المبحث الثالث: مميزات مدينة قسنطينة

كانت قسنطينة من خلال الوصف الجغرافي والطبيعي السابق، قد تفردت في وصف الجغرافيين والحالة، وهذا ما قد منحها الكثير من المميزات، ليس فقط في الجانب الجغرافي الطبيعي، وإنما في الجانب بالديمغرافي والسياسي، وحتى الاجتماعي، بمعنى آخر ارتباط هذه المجالات الأربع الأخيرة بالجانب الجغرافي الطبيعي، بمعنى آخر أن قسنطينة محصنة طبيعيا، فهي آمنة من مختلف الظواهر الطبيعية كالفيضانات، والاعتداءات الخارجية، كما تميزت أيضا بتنوع الأجناس البشرية في المدينة، حيث تعتبر قسنطينة من أكبر مناطق في الجزائر مساحة وسكانا، فإنها تتحكم في الإقليم الفلاحي الأكثر غنا واتساعا، كما اعتبرت

[1] – فايست، تاريخ بايات قسنطينة، تح: حساني مختار، منشورات دحلب، الجزائر، 1999، ص 09.

[2] – رياض بولحبال، أخبار بلدة قسنطينة وحكامها، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2010، ص 25.

سوقا كبيرا تجمع بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، ومكانا لمرور القوافل الخاصة بالتجارة، بين الصحراء والتل، وللمدينة أهمية سياسية، فكانت تعتبر مركز حكم لكثير من الملوك عبر العصور، لأنها قابلة للتطور العمراني بسبب صعوبة تضاريسها.[1]

وبعد استعراضنا للدراسة الجغرافية والتاريخية والإدارية، تبينت لنا أهمية هذا الإقليم من الجزائر في الفترة العثمانية، حيث جعلت منه إقليم مميزا ليس فقد في الموقع الجغرافي والحصانة الطبيعية واتساع التنوع، وإنما متميزا من حيث إنجازات القادة في هذا الإقليم، من حيث مؤسسات الوقف رغم ما عرفه الإقليم من فترات عدم الاستقرار.

[1] – عمار بوطيبة، المجتمع القسنطيني من خلال جريدة النجاح 1919–1945، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009–2010، ص ص 22–25.

الفصل الأول

الأوقاف في قسنطينة

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للوقف: تعريفه، عناصر وشروطه

المبحث الثاني: أنواع الوقف

المبحث الثالث: أهم المؤسسات الوقفية

إن الحديث عن موضوع الأوقاف في مدينة قسنطينة، يجرنا لتوضيح الكثير من المفاهيم المرتبطة بالمؤسسات الوقفية، فقبل تناول موضوع الأوقاف بمختلف مؤسساتها، تجدر بنا الإشارة في هذا المجال إلى ضبط هذه المفاهيم المتداولة في هذا الفصل تحديدا، والمتمثلة في تحديد مفهوم الوقف، نشأته وتاريخيه، بالإضافة إلى أركانه وشروطه، وذلك تسهيلا للقارئ وتوضيحا لما سنذكره فيما بعد، لذلك جاء المبحث الأول من هذا الفصل بعنوان الإطار المفاهيم للوقف.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للوقف: تعريفه، عناصر وشروطه

1-تعريف الوقف:

أ-لغة:

يقفا، وقف ولا يأتي رباعيا ويشتهر استعمال المصدر باسم المفعول، فيقال هذا أوقف الدار وقف: أي موقوفة، ولهذا فإنه يثنى ولا يجمع، عندئذ يقال: وقفان وأوقفان: ويأتي بمعنى السكون، يقال وقفت الدابة إذا سكن[1]، وقف: وقف: وقف الدابة والكلمة أوقفها وقف: إذا حبستها في سبيل الله، وقفت وقوفا، وقفت الرجل توقيفا، وقفت الحديث بنية.

الوقف هو المسك الذي يجعل في الأيدي عاجا كان أو قرنا وقيل هو سوار[2]، والوقف هو الحبس (Habous) والمنع والإمساك، ويقال وقفت الدار وقفا حبستها في سبيل الله تعالى، ووقفت الرجل عن المشي منعته عنه وقولهم: أوقف الأمر عن حضور فلان.[3]

والوقف في هذه الصيغة اللغوية يركز على معنيين هما: الحبس والمسك.

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، ج15، دار صادر، بيروت، لبنان، 2003، ص 134.

[2] – إسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة العربية، تح: محمد آل ياسين، ج6، ط1، عالم الكتاب، بيروت، لبنان، 1394هـ، ص 46.

[3] – بن دفي سلوى، الوقف بمدينة قسنطينة في العهد الاستعماري (1837-1900)، مذكرة ماستر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2015-2016، ص 07.

ب-اصطلاحا:

أما اصطلاحا فهو: مصطلح فقهي إسلامي يعبر به عن نوع خاص منن التصدق والتبرع على سبيل الخير والإحسان، فيطلق على الصدقات والتبرعات التي يكون لها بقاء واستمرار، بحيث ينتفع بها الناس على مدى سنين أو أجيال وقرون، وهذا يعني أن الوقف إنما يكون بأشياء يستفاد من نفعها وغلتها وفائدتها، مع بقاء الشيء نفسه واستمرار عينه مدة من الزمن تطول أو تقصر، كالأرض والبناء والبئر والشجرة.[1]

مع الإشارة بنا إلى انتشار استعمال لفظ الوقف بين الفقهاء، واقتصار استعمال لفظ الحبس على المغاربة[2]، ولذلك يكون المعنى الاصطلاحي تأكيدا للمعنى اللغوي، أي الحبس والمسك بغية تحقيق الفائدة والخير.

وإذا كان الوقف قد ارتبط ارتباطا وثيقا بالدين الإسلامي، إلا أنه كان موجودا عند الشعوب والحضارات السابقة للإسلام، وإنما مفهومه وشكله والغرض منه كل ذلك قد تغير في الدين الإسلامي.

وبعد تعرضنا لمفهوم الوقف لغة واصطلاحا، نتناول بعد ذلك عنصر جديدا.

2-عناصر الوقف:

أولا: الواقف

أو المحبس، وهو ذلك المالك للذات أو المنفعة وشرطه أهلية التصرف في المال[3]، بمعنى أن يكون الواقف أهلا للتبرع عاقلا بالغا، ويكون الموقف رشيدا فلا يصح الوقف محجور عليه لسفه أو فلس أو غفلة.[4]

---

[1] – أحمد الريسوني، الوقف الإسلامي مجالاته وأبعاده، ط1، دار الكلمة، القاهرة، مصر، 2014م، ص 13.

[2] – محمد بن عبد الله، الوقف في الفكر الإسلامي، ج1، مطبعة فضالة، المغرب، 1996، ص 50.

[3] – المقرافي، الذخيرة، ج6، ط1، تح: سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994، ص 302.

[4] – بوسعيد عبد الرحمن، الأوقاف والتنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة وهران، الجزائر، 2011-2012، ص 10.

ثانيا: الموقوف

وهو الشيء المراد وقفه، ويشترط أن يكون معلوما مملوكا للواقف.[1]

ثالثا: الموقوف عليه

وهو الجهة المراد "الملك" لفائدتها[2]، ويشترط أن يكون أهلا لتملك كالفقراء وطلبة العلم، أو يكون أهلا للتمسيك كالقنطرة ورباط، لأنه يصرف في مصالحها.[3]

رابعا: الصيغة

وهو اللفظ الذي يثبت بموجبه الوقف، كالتلفظ بأحد ألفاظ وقفت، حبست، وسبلت، لكن لا تباع ولا توهب أو تصدقت به على طائفة، كما ينوب على الصيغة التخلية بين الذات الموقوف وما أشبه ذلك لكل ما ينفع الناس.[4]

وتكون ألفاظ الكناية دالة على الوقف بثلاثة أمور:

1- النية فإذا نطق ونوى بواحدة من هذه الألفاظ الصريحة أو الوقف صار موقفا ما نواه.

2- إذا اقترنت الألفاظ الكنائية بواحدة من الألفاظ الصريحة أو الكنائية كتصدقت بكذا صدقة موقوفة، أو محبسة أو مسبلة أو محرمة أو مؤيدة.

3- أن يصف العين بأوصاف الوقف، فيقول: محرمة لا تباع ولا توهب.

ويصح الوقف بالقول بواحد من الألفاظ الصريحة أو الكنائية على ما ذكر، ويصح بالفعل كمن جعل أرضه مسجدا وأذن للناس للصلاة فيها.

3-شروط الوقف:

الوقف عقد لعمل خيري، ذي صيغة دينية، يقوم على توفر الواقف الذي له أهلية التبرع بما يملك من ملكية أو منفعة، وعلى وجود الموقوف وهو المنفعة التي تصرف على

---

[1] – الدردير، أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، مكتبة أيوب، كانوا، نيجيريا، د.ت، ص 164.

[2] – ابن همام، فتح القدير، ج6، ط1، المطبعة الكبرى الأموية، سولاق، مصر، 1317م، ص 184.

[3] – بوسعيد عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 11.

[4] – المقرافي، الذخيرة، ج6، المرجع السابق، ص 317.

سبيل الحبس، فضلا على توفر الموقوف عليه وهو المستحق لتلك الذات، أو المنفعة، ولو كان مصلحة عامة كالمسجد والمدرسة والزاوية وغيرها[1]، هذا ما اشتراط صيغة الوقف ولو كانت بكتابة على مسجد أو مؤسسة خيرية تعود أساسا على المصلحة العامة التي حبس من أجلها، وذلك بحضور الواقف والشهود، مع تحديد قيمة الوقف وتعيين أغراضه وكيفية الاستفادة منه، وانتقاله وعوامل نموه وتخصيص المشرفين عليه وشروطهم، مع ذكر تاريخ الوقف وتوقيع الحاضرين والقاضي.

فللوقف إذن وثيقة شرعية يستند عليها ويلزم باحترامها الواقف، وأهله والمستفيدين منه، وكذلك السلطة.[2]

ومما يشترط كذلك في الواقف أن يكون كامل الأهلية من العقل والبلوغ والحرية والاختيار، ولا يصح أن يكون الوقف على معصية كالوقف على شراء أسلحة حرب محرمة، ويكون فيها اعتداء وبغي، ووقف على خمر وما شابه ذلك.

ونعتقد أنه من خلال هذه الأسس والأركان أن الوقف أخذ مفهومه الشرعي، وصنف حسب الغرض من صرف المنافع المترتبة عليه، فيكون أحيانا وقفا عاما وأحيانا أخرى وقفا خاصا، ويسمى الأول الوقف الخيري والثاني الوقف الأهلي.[3]

المبحث الثاني: أنواع الوقف

ينقسم الوقف باعتبار الجهة الأولى التي وقف عليها إلى:

أولا: باعتبار الغرض

وينقسم إلى نوعين:

[1] – براكة ميلود، الأوقاف في الجزائر خلال العهد العثماني ودورها في التضامن الاجتماعي 1518–1830، مذكرة ماستر، جامعة ملاوي الطاهر، سعيدة، 2012–2013، ص 17.

[2] – نفسه، ص 17.

[3] – نفسه، ص 18.

1-الوقف الخيري:

وهو الذي يقصد به الواقف التعرف على وجوه البر، سواء أكان على أشخاص معينين، كالفقراء والمساكين والعجزة، أو كان على جهة من جهات البر العامة كالمساجد والمستشفيات والمدارس وغيرها، مما ينعكس نفعه على المجتمع.[1]

2-الوقف الخاص أو الوقف الأهلي:

فهو الذي يوقف في ابتداء الأمر على نفس الواقف، أو أي شخص أو أشخاص ولو جعل آخره لجهة خيرية، كأن يقف على نفسه ثم على أولاده، ثم من بعدهم على عمل خيري.[2]

ثانيا: باعتبار المحل

1-وقف العقار:

وقف العقار من أرض ودور وحوانيت وبساتين ونحوه يصح بالاتفاق.[3]

2-وقف المنقول:

اتفق الجمهور غير الحنفية على جواز المنقول مطلقا، كآلات المسجد، كالقنديل والحصير وأنواع السلاح والثياب، سواء أكان الموقوف مستقلا بذاته، ورد به النص أو جرى به العرف، أم تبعا لغيره من العقار، إذ لم يشترطوا التأبيد لصحة الوقف، فيصح كونه مؤبدا أو مؤقتا خيريا أو أهليا.

3-وقف المشاع:

يجوز عند الجمهور غير المالكية وقف المشاع، الذي لا يحتمل القسمة مع الشيوع، لأن الوقف كالهبة وهبة المشاع غير القابل للقسمة جائزة، ولم يجز المالكية وقف الحصة

[1] – سليم هاني منصور، الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2014، ص 45.

[2] – عبد الجليل عشوب، كتاب الوقف، ط1، دار الآفاق العربي، القاهر، مصر، 2000، ص 11.

[3] – وهبة الزحيلي، الوصايا والفقه الإسلامي، ط2، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1998، ص ص 141-142.

الشائعة فيما لا يقبل القسمة، لأنه يشترط الحوز عندهم لصحة الوقف كالهبة، وهبة غير القابل للقسمة جائزة.[1]

أما المشاع القابل للقسمة: فقال أبو يوسف ويفتي بقوله: «يجوز لأن القسمة من تمام القبض عنده ليس بشرط لتمام الوقف، فكذا تتمته وهذا موافق لرأي المالكية والشافعية والحنابلة».[2]

4-وقف حق الارتفاق:

قال الشافعية والحنابلة: يجوز علو الدار دون سفلها، وسفلها دون علو لأنهما عنيان يجوز وقفهما، فجاز وقف أحدهما دون الآخر، ولأنه يصح بيع العلو أو السفل ولأنه تصرف بزيل الملك إلى من يثبت له حق الاستقرار والتصرف، فجاز البيع.

5-وقف الإقطاعات:

هي أرض مملوكة للدولة، أعطتها لبعض المواطنين ليستغلوها ويؤدون الضريبة المفروضة عليها، مع بقاء ملكيتها للدولة، فإذا وقف المقطع له هذه الأرض لا يصح وقفه لأنه ليس مالكا لها، كذلك لا يجوز للحكام والولاة والأمراء وقف شيء من هذه الإقطاعات، إلا إذا كانت الأرض مواتا أو ملكها الإمام فأقطعها رجلا ويجوز لمن أحيا الأرض الموات من الأفراد وقفها، لأنه ملكها بالإحياء.[3]

6-وقف أراضي الحوز:

أرض الحوز هي أرض مملوكة لبعض الأفراد، لكنهم عجزوا عن استغلالها، فوضعت الحكومة يدها عليها لتستغلها وتستوفي منها ضرائبها، فلا يصح وقفها لأنها ليست مالكة لها وإنما يزال ملكها لأصحابها.

[1] – بوسعيد عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 14.

[2] – وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص 143.

[3] – وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص 144.

7-وقف الإرصاد:

الإرصاد أن يقف أحد الحكام أرضا مملوكة للدولة لمصلحة عامة، كمدرسة أو مستشفى، وقد عرف أن هذا جائز بحكم الولاية العامة، ولكن يسمى هذا إرصادا لا وقفا حقيقة.

8-وقف المرهون:

قال الحنفية، يصح للراهن وقف المرهون لأنه يملكه، لكن يبقى المرتهن متعلقا بالمرهون، فإن وفى الدين تطهرت وخلصت العين المرهونة من تعلق حق المرتهن بها، وإلا فله أن يطلب إبطال الوقف وبين المرهون.

9-قال الحنفية والحنابلة:

لا يملك المستأجر وقف منفعة العين المستأجر، وقف منفعة العين المستأجرة، لأنه يشترط لديهم التأييد والإجارة مؤقتة غير مؤبدة، وكذلك قال الشافعية: مالك المنفعة دون الرقبة كالمستأجر والموصى له بالمنفعة، لا يصح وقفه إياها، وقال المالكية: للمستأجر منفعة المأجور مدة الإجازة المقررة له، إذ لما يشترط لديهم تأييد الوقف، والخلاصة يصح عند الجمهور المؤجر وقف العين ولا يصح وقفها عند المالكية، ويصح عند المالكية للمستأجر وقف منفعة المأجور ولا يصح وقفها عند الجمهور.[1]

المبحث الثالث: أهم المؤسسات الوقفية

عرفت الأوقاف تزايد واضح في الأملاك الموقوفة، وهذا ما جعل الأطراف المسؤولة تنشئ مؤسسات لتنظيم هذه الأملاك الموقوفة، ومن بين هذه المؤسسات نذكر:

أ-مؤسسات أوقاف سبل الخيرات الحنفية:

هي مؤسسات شبه رسمية، كانت تشرف على جميع الأوقاف المتعلقة بخدمة المذهب الحنفي من زوايا ومدارس وموظفين وفقراء، وكانت تديرها جماعة يعينها الباشا، واهتمت هذه

[1] - نفسه، ص ص 145-146.

المؤسسة أيضا بالمشاريع الخيرية كإصلاح الطرق ومد قنوات الري، وقد كان لها نفوذا كبيرا في المجتمع، وذلك لأهمية الأوقاف التي كانت تتلقاها المنشآت التي تشرف عليها.[1]

ب-مؤسسات الحرمين الشريفين (مكة والمدينة):

استمدت أهميتها من المكانة السامية التي كانت تحتلها الأماكن المقدسة في نفوس الجزائريين التي أوقفوا عليها الكثير من ممتلكاتهم داخل المدينة وخارجها، مما جعلها في طليعة المؤسسات الخيرية، وهكذا أصبحت مؤسسة الحرمين بفضل النشاطات التي تقوم بها والسمعة التي تتمتع بها، والمكانة التي تحتلها تشرف على حوالي ثلاثة أرباع الأوقاف كلها، رغم ما يلاحظ على هذه الأقوال من مبالغة، إلا أن ما نستنتجه من وثائق، القول يؤكد بأن أوقاف الحرمين الشريفين كانت تستحوذ على الشطر الأكبر من الأوقاف.[2]

ج-أوقاف مؤسسة بيت المال:

تعد هذه المؤسسة سياسية خيرية، حيث كانت تشرف وترعى جميع أموال اليتامى والغائبين، والأملاك التي تصادرها الدولة، وكذلك الشركات، واهتمت المؤسسة بإعانة أبناء السبيل واليتامى والفقراء والأسرى، وتتصرف في الغنائم التي تعود إلى الدولة، كما تهتم بشؤون الخراج وشراء العتاد، وتشرف على إقامة المواقف (الطرق، الجسور...)، كما تقوم ببعض الأعمال الخيرية مثل دفن الموتى من فقراء وأبناء السبيل ومن الصدقات للمحتاجين.[3]

د-مؤسسة أوقاف الأندلسيين:

كان أغنياء الجالية الأندلسية المقيمين في الجزائر، يوقفون الأملاك على إخوانهم اللاجئين والفارين من الأندلس، وتزايدت نفوذهم مع مرور الوقت، وقد شجعتهم السلطات على إنشاء هذه المؤسسة التي كان هدفها التضامن وخدمة الفقراء.[4]

---

[1] – بن دفي سلوى، المرجع السابق، ص 10.

[2] – ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 84.

[3] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت، ص 241.

[4] – Saida Ben Chikh, Boulanouar L'Algérie par ses Archives, Du royaume de Tihert à la Colonitation (Ville-XXE siècles), Edition, Alger, 2015, p 135.

والجدير بالذكر أن الجالية الأندلسية أو اللاجئين الأندلسيين حلو بالجزائر ابتداء من سنة 1492، قد أثروا جميع نواحي الحياة الثقافية، الاقتصادية والاجتماعية، خصوصا في المدن التي حلوا بها ومنها قسنطينة.[1]

هـ-أوقاف الزوايا والأولياء والأشراف:

الأشراف فئة مميزة في المجتمع الجزائري، ولهم أوقاف خاصة، وقد كان لهم نقابة خاصة (الأشراف)، وكان الأوقاف الأشراف وكيل خاص، وتعود أغلب أحباس هذه المؤسسات إلى أضرحة الأولياء الصالحين والمدارس والأشراف، حيث تشتمل مهمة هذه الأحباس في تسديد التكاليف الجارية للمؤسسة التعليمية أو الدينية، وكانت فوائضها تعود إلى فقراء الأشراف وأوقاف بيت المال، وكانت كثيرة في مختلف المدن، ومنها مدينة قسنطينة.

و-أوقاف المرافق العامة (-الطرق والعيون والسواقي):

تسمى بالمؤسسات غير الدينية، وكلنها بدوافع دينية والرغبة في الثواب الجزيل بإرواء عابري السبيل، وقد أوقفت عدة أملاك داخل مدينة قسنطينة وخارجها للإنفاق على المرافق العامة كالطرق والسواقي.[2]

ي-مؤسسة الأوجاق: أوجاق[3] الجند والثكنات

يعود أصل هذه الأوقاف إلى الجنود الذين ترقوا في رتبهم العسكرية، حيث ارتبطت أهمية العقار الموقوف بأهمية الارتقاء في الرتبة أو المنصب الإداري الذي يحوزه، وقد كانت مداخيل الأوقاف تصرف في أشياء ترفيهية مثل الهدايا التي يقدمها وكيل الوقف لجنود الغرق الوقفية.[4]

---

[1] – Ibid, p 135.

[2] – ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية...، المرجع السابق، ص 100.

[3] – أوجاق: كانون، موقد، فصيل من الجند، مكان خاص بالخضورات في البستان، أنظر: محمود عامر، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، ع 117-118، دمشق، جوان 2012، ص 364.

[4] – بن دفي سلوى، المرجع السابق، ص 12.

ونخلص مما تقدم إلى القول، بأن مدينة قسنطينة قد عرفت أنواعا كثيرة ومتعددة من مؤسسات الوقف والهيئات التي تسهر على تسيير هذه المؤسسات التي أدت أدوارا لا يستهان بها في هذا المجال ليس فقط، بل أيضا في المجال الاجتماعي، كتوفير الحاجيات الضرورية للسكان من مأكل وملبس دون أن ننسى دور هذه الأوقاف في خدمة البنية الاقتصادية للإقليم من منشآت وطرق... .

الفصل الثاني

المساجد والزوايا في قسنطينة وعلاقتها بالأوقاف

المبحث الأول: أشهر المساجد

المبحث الثاني: الزوايا

المبحث الثالث: أشهر علماء قسنطينة

تطرقنا من خلال ما سبق، إلى المفاهيم المختلفة للوقف أو الحبوس، وتعرفنا أيضا على مختلف المؤسسات الوقفية المباشرة، كالمساجد أو المؤسسات العلمية والثقافية ذات الصلة بالوقف، وإذا كانت هذه المؤسسات الأخيرة قد أدت إلى ازدهار الأوقاف من جهة، وتشجيع الأعمال الخيرية من جهة أخرى، إلا أن المساجد تبقى إن صح التعبير العمود الفقري للمؤسسات الوقفية، وهو ما نستهل به هذا المبحث.

المبحث الأول: أشهر المساجد

تعود فترة نشأة المساجد بمدينة قسنطينة، إلى الفترة السابقة للفترة العثمانية، وتحديدا إلى القرن السابع الميلادي، أي الفتوحات الإسلامية التي عرفتها المدينة، بل والجزائر وشمال إفريقيا على يد الفاتح عقبة بن نافع، وأبي المهاجر، وتحديدا في النصف الثاني من القرن الرابع هجري/السابع ميلادي، حتى وإن المؤرخين لم يحددوا التاريخ الذي وصل فيه هؤلاء الفاتحون المسلمون للمدينة، وإذ كانت مدينة قسنطينة قد عرفت نشاطا وقفيا كثيرا، يتمثل أساسا في إنشاء المساجد، إلا أننا سنقتصر على أهم مساجد المدينة، انطلاقا من الدور الذي لعبه كل مسجد كمؤسسة وقفية من جهة، ومؤسسة ثقافية من جهة أخرى، ومن أشهر المساجد بقسنطينة، ما يلي:

1-الجامع الكبير القسنطيني:

هو الجامع المعروف اليوم بهذا الاسم (الجامع الكبير)، الموجود ببطحاء السويقة بشارع بن مهيدي، على اليمين المتوجه نحو القنطرة القديمة، الواصلة بين المدينة ومحطة السكة الحديدية وحي الأمير عبد القادر، وهو أقدم مساجد قسنطينة[1]، قال الأثري الجزائري رشيد بورويبة: «أما علم الكتابات فبلغونا بأن الجامع الكبير القسنطينية بني في عهد يحي الأمير الحمادي الأخير».[2]

[1] – محمد المهدي بن علي شيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر تاريخ مدينة قسنطينة، 1980.

[2] – رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، تر: إبراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1399هـ/1979م، ص 55.

بيت الصلاة بجامع المسجد الكبير يكاد يكون شكله مربعا، يبلغ طول الجدار الجنوبي الشرقي 22.30م، والجنوبي الغربي 22.30م، والشمالي الشرقي 22.2م، كما يتميز منبر الجامع الكبير القسنطيني المصنوع من خشب يقع على يمين المحراب، يتكون من 7درجات، له باب مزين بقوس مزينة بزخارف نباتية، وفي مؤخرة المنبر نجد مسند على شكل قوس نصف دائري، عليه كتابتين بالخط الكوفي، جاء فيها «بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد»، أما الثانية فتحمل النص التالي: «على محمد وعلى آلة...»، كما يحتوي الجامع القسنطيني عل مجموعة نوافذ، والتي يقدر عددها بتسعة، للجامع أربعة أبواب خشبية مفتوحة في الجدار الفاصل بين بيت الصلاة والصحن.

ومن العلماء الذين سبق لهم التدريس في هذا المسجد العلماء المشايخ الملي البوطالي المدفون بفناء المدرسة الكتانية، مدرسة صالح باي، ملاصقا قبره بحائط مقبرة الباي المذكور وأعضاء عائلته.

ومن المشايخ الذين كانوا يدرسون بالجامع الكبير الشيخ محمد بن عيسى الشاذلي البوزيدي، الذي تولى فيما بعد إدارة مدرسة قسنطينة، ومنهم الشيخ عبد القادر المجاوي الذي يعتبر بحق أن النهضة الثقافية العربية في هذه القبائل قبل ظهور الشيخ ابن باديس وجمعية العلماء المسلمين، وغيرهم كثير رحمة الله عليهم أجمعين، الشيخ محمد بن عيسى الشاذلي البوزيدي، أول مدير عربي لمدرسة عربية فرنسية في العهد الاستعماري بقسنطينة 1212-1295هـ/1797-1877م، هو عالم جليل، وأديب مشهور وشاعر مطبوع، تغنى شهرته عن التنويه به، استقر بمدينة قسنطينة قبل الاحتلال الفرنسي للبلاد، أصل عائلته من عرش البوازيد عرب الصحراء وأشرفها، المستقرين غربي مدينة طولقة عاصمة إقليم الزاب الغربي، وهناك كانت ولادته حوالي 1212هـ/1797م، واسم والده عيسى.[1]

[1] – أبو القاسم سعد الله: محمد الشاذلي القسنطيني "دراسة من خلال رسائله وشعره"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص ص 17-18.

2-جامع سيدي الكتاني:

يقع جامع سيدي الكتاني الجهة الشمالية من المدينة، أسفل القصبة بجوار سوق الجمعة، الذي كان في زمن الاستعمار يعرف بساحة (Negrier) ويعرف حاليا بسوق العصر، وهو يفتح من جهة الغرب على نهج بن الموقوف، ومن جهة الجنوب الشرقي نهج البوهالي العيد، وبني هذا الجامع بجوار طريق يعرف باسم "الكتاني"، ومن ثم استمد الجامع التسمية منه.

يتميز جامع سيدي الكتاني بشكله المستطيل، ويتكون من طابقين، يظهر من واجهاته الثلاثة وهي: الشرقية الغربية والجنوبية، تقع بين الصلاح في الطابق العلوي، وهو مستطيل الشكل، يحتوي على منبر به كتابات نقشت على لوحة رخامية، وهي تعلو مدخل المنبر الرخامي، ووضع هذا المنبر سنة 1204م، ونصها كالآتي: «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

بني منبرا بالعز والنصر الصالح، له سبل الخيرات، ويعتبر المنبر غاية في الجمال والرقة، وأفخم الزخرفة، للمحراب قوس نصف دائري محاطة بحنتين مستديرتين، الحنية الأولى مزينة بفقرات على شبه منحرف بارزة فوق شبكة من المعينات، وفي الحنية الثانية تتدرج قوس صدفية الشكل، عرف جامع سيدي الكتاني عدة تغيرات كغيره من معالم المدينة، وقد كانت أولى التغييرات على يد الإمبراطور نابليون الثالث سنة 1861.[1]

وقد مست تلك التغييرات الواجهة الخارجية لجدار القبلة[2]، ومن العلماء الذين سبق لهم التدريس في الجامع الكتاني، نذكر منهم:

أ-الشيخ العلامة محمد المكي بن سعد البوطالبي:

كان الشيخ العلامة محمد المكي ابن سعد البوطالي مدرسا للفقه سنة 1850، بمرتب شهري قدره 125 فرنكا، وكان قبل ذلك يشغل منصب القضاء مثل زميله الشيخ محمد

[1] – عبد القادر دحدود، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني دراسة عمرانية أثرية، رسالة دكتوراه، 2009-2010، ص 32. المعلومات ناقصة

[2] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 187.

الشاذلي، توفي الشيخ بوطالبي في قسنطينة سنة 1282هـ/1865م، ودفن في فناء المدرسة الكتانية.[1]

ب-الشيخ عبد القادر المجاوي:

هو عبد القدار بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن المجاوي نسبة إلى مجاوة، وهي قبيلة مستقرة بالشمال الغربي من المغرب الأقصى، ولد بتلمسان في عام 1264هـ/1848م، من أسرة اشتهرت بالعلم، ومن شيوخه في جامع القرويين الشيخ محمد العلوي القاضي فارس، الشيخ كنون، الشيخ محمد بن سودة، وغيرهم، وكثيرون كلهم أجازوه وأذنوا له بالتدريس.[2]

وإذا كانت شهرة الجامع الأخضر تزامنت مع فترة بنائه وبداية الصلاة والتدريس به، إلا أن شهرته لم تتوقف ولم تنته بانتهاء الفقرة العثمانية، فقد ظل المسجد العتيق يواصل رسالته الدينية، التعليمية والثقافية، حتى في ظل فترة الاحتلال، وظل يستقطب الكثير من طلبة العلم، ولا نبالغ إن قلنا أن هذا المسجد وغيره من مساجد المدينة، قد لعب الدور الأساسي في الحفاظ على هوية المدينة الإسلامية، كيف لا وقد مرّ به الكثير من الأساتذة والعلماء الأجلاء من بينهم:

1-عبد القادر الراشدي القسنطيني:

العلامة الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد المبارك القسنطيني، كان وقاد الفريحة، بديه الإدراك واسع الفكر والفهم والإدراك، أسندت لعهدته رئاسة الطريقة الشاذلية، فأسسها على متون الشريعة وهذا بها بنصائحه المفيدة دراسات، وألف مؤلفات في شمائل الرسول (عليه الصلاة والسلام)، ومعجزاته، وله حاشية على شرح الأخضري الجوهره المكنون مقيدة

[1] – كما لغربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011، ص 105.
[2] – نفسه، ص 105.

في بابها وعارض عدة قصائد وولي مفتيا للمالكية والخطابة بالجامع الكبير، توفي سنة 1265هـ.[1]

2-الجامع الأخضر:

يقع الجامع الأخضر بوسط المدينة، بالقرب من رحبة الصوف، وهو يطل على الشارع من ناحية الغرب، يعرف باسم شارع سيدي لخضر منذ زمن الاستعمار، ومن ناحية الجنوب شارع كان يعرف في نفس الفترة بنهج الكامب، أطلق على جامع سيدي لخضر هذا نسبة إلى الشيخ سيدي لخضر، الذي كان أول عالم في المسجد فتمسي باسمه.

كما اشتهر باسم جامع سيدي الأخضر عدة أسماء من أشهرها الجامع الأعظم، وجامع سيدي لخضر نسبة إلى الولي الصالح، وقد أخذ شهرته في كامل ربوع الجزائر، ويعتبر الجامع الأخضر من أهم المؤسسات الوقفية للمدينة في الفترة المقصودة، وهي الفترة العثمانية*، وهي عبارة على شكل قوس، عرضها 1.38 م، وجوفها 42 سم، على يمينه ويساره، نجد ركيزة على شكل متوازي مستطيلات، يعتمد عليها عمودان حاميان جذعها دائري.

يتكون منبر الجامع الأخضر من الخشب 9درعات، ويزين مدخله عقد ذو فصوص نصف دائرية، تتناوب مع فصوص على هيئة عقد مكسور، وزوايا العقد المزينة من الزهور، كما يعلوا هذا الباب نقشت عليها «لا إله إلى الله محمد رسول الله».

أما بيت الصلاة بالجامع الأخضر له قبتان أحدهما أمام المحراب والثانية في الوسط، وما في بيت الصلاة مسقوفة من القرميد، لجامع سيدي الخضر مئذنة، وهي ذات قاعدة

[1] – أبو القاسم الحفناوي بن الشيخ أبي القاسم الديسي ابن سيدي إبراهيم غول، تعريف الخلف برجال السلف 1906-1907، طبعة بمطبعة فونتانة الشرقية، الجزائر، د.ت، ص 281.

* – لعبت الكثير من الظروف دورا في تراجع المسجد العتيق، الذي وضعه الآن في حالة مزرية، يحتاج إلى تدخل لإعادة الترميم والتهيئة، زيارة قامت بها الطالبتان لمدينة قسنطينة، يوم 2021/03/10.

مربعة، تدخل إليها عن طريق باب بيت الصلاة، له سلم من الخشب بعدد درجات قدر بـ 85 درجة، فإن الجامع الأخضر لا يزال بتغيرات كبيرة.[1]

3-العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس:

عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس الصنهاجي، ولد سنة 1308هـ/1889م، من أسرة معروفة بالعلم والجاه والثراء، وكان ولده ملجأ الخائفين، وكان من أبرز الرجال في قسنطينة، وكان درعا حصينا لولده، أبعد عنه كيد الاستعمار، دافع عنه طويلا، ويحكي ابن خلدون «أنه اجتمع أربعون عمامة من أسرة باديس في وقت واحد، في التدريس والإفتاء، الدينية، والأسرة تنحدر من الصنهاجيين، وهي قبيلة ملك وسلطان، اشتهر منها المعز بن باديس، وأسرة باديس تنتمي إلى الطريقة القادرية، حفظ عبد الحميد بن باديس القرآن الكريم على شيخ المواسي، ثم اختار طريق العلم فأسلمه والده إلى العالم والورع التقي حمدان الونيسي، فرباه على العلم والفضل والأدب، وأوصاه بالابتعاد عن الوظيف وقراءة العلم وللعلم لا للرغيف.[2]

توفي ابن باديس يوم 16 أفريل 1940، كانت فترة استعداد للمولد النبوي الشريف.[3]

4-جامع حسن باي:

يقع سوق الغزل أو الجامع حسن باي شرق قصر أحمد باي، إلى الغرب من شارع ديدوش مراد، الذي كان يعرف في زمن الاستعمار الفرنسي بشارع كرمان، ويعرف حاليا عند العامة بشارع فرنسا Rue de France، يطل على ساحة شوشان عبد الباقي من الناحية الشمالية، ومن الغرب على نهج بودشيش بلقاسم، تقول بعض الدراسات أن هناك من يرى أن بناء الجامع كان من طرف الباي بوكمية، وليس الحاج عباس، لجامع سوق الغزل (حسن باي) عدة واجهات، الواجهة الغربية، والواجهة الشرقية والجنوبية، يمتاز مسجد سوق الغزل

[1] – كمال غربي، المرجع السابق، ص 110. لم يذكر من قبل.

[2] – عبد الحميد بن باديس الصنهاجي (1308-1359هـ) تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ط2، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 2424هـ/2003م، ص 07.

[3] – محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص 07.

بعناصر الدعم الموجودة به، وبمحرابه وبقبابه، ويمتاز أيضا بمنبره وبابيه وزخرفة جدرانه، يبلغ طور المنبر 3.34 م، وارتفاعه 2.78م، وعرضه 0.96م، فهو مضلع من الخشب المنقوش، يحتوي على إحدى عشرة درجة، يساوي عرضها 26 سم، وارتفاعها 18 سم.

إن صدره ورواقه وجانباه مزينة بخرفة منقوشة بمهارة كبيرة، أما جامع سوق الغزل حسب الباحثين تعرض إلى تغييرات عديدة وتجديدات مست أجزاء كبيرة منه.[1]

وممنن سبق لهم التدريس بجامع حسن باي:

أ-الشيخ محمد الطاهر الساحلي:

من مواليد 1908 ببني خطاب (جيجل)، حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم اللغوية والعقائدية، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة عام 1925م، ليتخرج منه بشهادة التطويع، بعد دراسة دامت سبع سنوات، بعد عودته إلى الجزائر مارس التعليم، وأشرف على حركة الإصلاحية بجانب المدرسة العصرية، كان من المتحفزين لإنشاء المدرسة الخاصة بالبنت المسلمة، عين بعد الاستقلال أستاذا ثانويا وإماما، توفي في 01 فيفري 1990م رحم الله الشيخ محمد الطاهر رحمة واسعة.[2]

ومن الشخصيات التي تولت فيه الإمامة والخطابة والتدريس، نجد:

-الدكتور بوجمعة جعلاب:

هو بوجمعة بن أحمد بن قريشي بن الطاهر بن القريشي بن عمر بن جعلاب الدراجي، أصلا الناجعي، انتماء الجعلابي، لقب التاملوكي ولادة ونشأة، الجزائري نسبه ووطنه، ولد سنة 1343هـ/1923م، بضواحي تاملوكة بولاية قالمة، في أسرة متماسكة أفرادها يرعاها أبوان يجمعهما قربة الدم ووحدة القلب، نشأ في عائلة متدينة، فنجده من الحفاظ لكلام الله تعالى ومن العلماء بتلك الجهة، قرأ على الشيخ العلامة أحمد الحبيباتي الفقيه المشهور بقسنطينة سنينا، عادة بعدها إلى بلد المجاز من شيخه ناشرا علمه بقوله

[1] – كمال غربي، المرجع السابق، ص ص 122-123.

[2] – نفسه، ص ص 123-124.

وفعله باذلا جهده في إحياء ما درس من علم والفضائل الحميدة إلى أن وافاه الأجل سنة 1938م.[1]

وما سبق تناوله في هذا المبحث، أن المساجد على تعددها واختلافها في المريدين وطلبة العلم والمدرسين من العلماء والفقهاء، كان لها شأن كبير في هذا الإقليم لدى القادة والقائمين على إدارة الإقليم، هذا الاهتمام شمل كامل الفترة العثمانية، وتعداه إلى ما بعده حينما تعرضت الجزائر إلى الاحتلال الصليبي الفرنسي، حيث تحولت مساجد المدينة إلى قلاع حصينة للدفاع عن شخصية وهوية المجتمع الجزائر.

إذا كانت المساجد قد لعبت دورا أساسيا في الجوانب العلمية والثقافية والديني، واعتبرناها العمود الفقري لهذه المؤسسات الوقفية، فإن هناك مؤسسات أخرى وقفية لا قل دورها وأهميتها عن المساجد، ونقصد بها الزوايا، وهي التي ستكون محور حديثنا في المبحث الموالي.

المبحث الثاني: الزوايا

لعبت الزوايا دورا هاما في نشر الإسلام، وحفظ لغة القرآن في مختلف بقاع العالم الإسلامي، وهي امتداد للمدارس والكتاتيب التي زخرت بها حضارتنا الإسلامية على مر العصور، حيث كان بمدينة قسنطينة الكثير من الزوايا تقوم بتعليم القرآن الكريم والدروس العلمية والصلوات المكتوبة، وقد ورد ذكر هذه الزوايا في القرارات البلدية منها، ما هو باقي إلى يومنا هذا، منها ما اندثر، وإذا كان المجال هنا لا يسمح بأن نعرف بكل هذه الزوايا التي عرفتها المدينة، إلا أننا نقتصر على ذكر أهم هذه الزوايا والدور التي أوكلت لها في الفترة المذكورة، لأننا نعتقد أن موضوع الزوايا قد شكل موضوعا مستقلا بذاته، ومن بين الزوايا التي تطرقنا إليها، نذكر:

[1] – نفسه، ص 125.

1-زاوية سيدي عبد المؤمن:

تقع زاوية سيدي عبد المؤمن بشارع ملاح السعيد، وقد كانت بمدينة على سويقة باب الجابية، يأخذ الشوارع الرئيسية التي كانت بمدينة خلال العهد العثماني والرابط بين الجابية وباب القنطرة.[1]

لقد سجلت الكتابة الأثرية اسم المجدد، وه السيد صالح خوجة بن مصطفى، وهو صهر إحدى الحفيدات سيدي عبد المؤمن، أما مؤسسها الأول فإنه من الممكن أن يكون سيدي عبد المؤمن هذا ما أكده غالبية الباحثين.[2]

وتتكون زاوية سيدي عبد المؤمن من طابقين رئيسيين، طابق أرضي وآخر علوي، يقع المدخل الرئيسي في الناحية الغربية للزاوية، عند الدخول نجد سقيفة مستطيلة الشكل، نصف دائري، يعلوها نصف قبية، مزين بخطوط تنطلق من نصف دائرة، وتحت القبية النصفية نجد بالتوالي صنف مزين بإفريز نباتي، يبلغ عرضه 5 سم، محاطا بأربعة قلولبات وصفيحة نصف دائرية بارزة، تظهر زينة متشابهة لآخر، يتركز عمدان قليلا الارتفاع على يمين ويسار المحراب، يتوضعان فوق مسحطين وتعلوها سطحية تتجاوز الجدع، يمينا ويسارا، وبابه للقبة، سدي عبد المؤمن تميزت بمنظرها المثمن وزخرفتها البسيطة، واعتمادها على أربعة حنايا ركنية لتحقيق من مستوى المربع إلى مستوى المثمن.[3]

2-زاوية ابن نعمون:

تقع بنهج بيريقو رقم 76 بناحية الشط، وهي معروفة باسم الزاوية التيجانية، وبها مدافن آل نعمون وهم من بايات المدينة، ومنهم محمد شريف بن نعمون، وتقام فيها الصلوات الخمس والدروس العلمية.[4]

---

[1] – محمد المهدي، المرجع السابق، ص 123.

[2] – كمال غربي، المرجع السابق، ص 170.

[3] – نفسه، ص ص 170-171.

[4] – عزيزة ك، زوايا مدينة قسنطينة منارة دينية ومعالم حضارية، جريدة المساء الجزائرية، 14 أفريل 2014، ص 09.

3-زاوية باش تارزي:

أسسها عبد الرحمن بن أحمد بن حمودة الذي عرف بباش تارزي، المتوفي في عام 1806[1] الذي ينتمي إلى الطريقة الرحمانية في قسنطينة، فلم يكن ملما بالجانب السلوكي لهذه الطريقة فقط، بل كان متقنا لطرق التربية فيها[2]، ولقد أسس هذه الزاوية بأمر من شيخه محمد بن عبد الرحمن الأزهري في نهاية القرن 18م، وتقع في حي "الشارع"، وهي تعتمد الطريقة الرحمانية، وكانت ملتقى العلماء، وهي أيضا حلقة وصل بين بلاد القبائل والزوايا في الجنوب، وقد حاربت هذه الزاوية الفساد الأخلاقي، ودعت إلى النهوض بالبلاد وتوحيد الصف، كان لها فروع بلغ عددها ثمانية، وبلغ أتباعها أواخر القرن 19م أكثر من 10 آلاف مريدا.[3]

4-زاوية الشيخ الفكون:

وهي موجودة في حي الجرازين*، ولذا تسمى أيضا بزاوية الجرازين، ومعروفة بالزاوية التيجانية، كانت هذه الزاوية تنتقل بين أفراد هذه العائلة، وكان الناس يأتون إليها من كل مكان نظرا للأهمية العلمية التي كانت تكتسبها، حيث درس فيها مختلف العلوم الشرعية والحساب والنحو، لكن هذه الزاوية عرفت تراجعا أواخر العهد العثماني من حيث وظائفها الدينية والعلمية، مقارنة بما كانت عليه في القرنين السادس والسابع عشر، احتوت هذه الزاوية على مقابر أسرة آل الفكون ومن بينهم عبد الكريم الفكون الحفيد.[4]

---

[1] – محمد المهدي، المرجع السابق، ص 256.

[2] – فيلالي وآخرون، المواقف السياسية للعلامة عبد الحميد بن باديس ويليه أضواء على ترجمة عبد القادر الراشدي القسنطيني، دار الهدى، عين مليلة، الجزئر، 2012، ص 18.

[3] – عبد المنعم القاسمي الحسني، زاوية الشيخ عبد الرحمن باش تارزي بقسنطينة، معقل العلم والقضاء والطريقة والجهاد، الشروق اليومية الجزائرية، 28 أوت 2010، ص 11.

* – الجرازين: الحراز، صانع الخرز، والخراز من حرفته خياطة الجلد، للمزيد أنظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 2014، ص 247.

[4] – سعد الله، شرخ الإسلام عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005، ص 48.

5-زاوية بن رضوان:

توجد هذه الزاوية في حي البرادعيين، وقد كانت مقر المحكمة الإباضية، وقد ذكر فايسات أن مؤسسها رضوا خوجة، توفي سنة 1805.[1]

6-زاوية نعمان:

كان بهذه الزاوية عدة مقابر، ومن خلال اسمها نستطيع القول أنها من إنشاء الباي محمد نعمان الذي حكم قسنطينة ما بين (1811-1813)، ولكن بعد الاحتلال الفرنسي لمدينة قسنطينة تم هدمها، وأقيم مكانها مستشفى.[2]

7-زاوية التلمساني:

تقع هذه الزاوية في نهج قسطنطين، وبعد الاحتلال استولى عليها الفرنسيين وجعلوها تابعة لفرقة الهندسة العسكرية، ثم أجرت للراهبات، وبعد سنة 1880 استولى عليها اليهود.[3]

8-زاوية الحضالة:

تدعى أيضا زاوية النجارين، وموقعها بحي النجارين، تقام فيها الصلوات الخمس، ويتم فيها أيضا تعليم الأطفال القرآن الكريم، ومن بين مدرسي هذه الزاوية الشيخ عبد المجيد بسطانجي.[4]

لقد لعبت الزوايا دورا كبيرا في الحياة الثقافية والاجتماعية والدينية وحتى السياسية، فقد اهتمت بعدة جوانب، منها تحفيظ القرآن الكريم ونشره وتعميمه بين مختلف الطبقات الاجتماعية، بهدف حمايته من الهجران، كما عملت على المحافظة على اللغة العربية والثقافة الإسلامي، وشجعت الطلاب على العلم والمعرفة، وأنفقت عليهم بهدف مقاومة الجهل

[1] – محمد المهدي، المرجع السابق، ص 255.

[2] – نفسه، ص 256.

[3] – راوية جريدي وآخرون، الحياة الثقافية في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، مذرك ماستر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014-2015، ص 22.

[4] – محمد المهدي، المرجع السابق، ص ص 257-258.

والأمية، ولم يقتصر دورها على الفترة العثمانية فقط، بل امتد نشاطها طوال الفترة الاستعمارية، ولا يزال بعضها إلى يومنا هذا.

ونخلص من خلال هذا المبحث، إلى أن مؤسسات الزاوية قد جسدت إحدى أهم المؤسسات الوقفية متعددة الخدمات والأدوار، فهي مدرسة لتعليم القرآن، في نفس الوقت هيئة لمساعدة المحتاجين والفقراء، وتعدت أدوار الزاوية من الدور التعليمي إلى الدور السياسي، سواء كان اتفاق هذه الزوايا مع توجهات السلطة العثمانية أو عكس ذلك.

وإذا كنا في المبحثين السابقين قدر ركزنا على أهم مؤسستين وقفيتين وهما المسجد والزاوية، فإننا ارتأينا أن نتناول في المبحث الثالث دور العلماء، كون هذه الفئة هي نتاج هاذين المؤسستين من جهة، ومن جهة أخرى هذه الفئة قد عملت على تنشيط دور المؤسسين في المجالات السالفة الذكر، وإذا كانت هاتان المؤسستان الوقفيتان قد ارتبطتا بعدد كبير من العلماء، فقد ارتأينا هنا أن نعرج قبل نهاية الفصل على أهم علماء المدينة.

المبحث الثالث: أشهر علماء قسنطينة

عرفت فئة العلماء في الدولة العثمانية اهتماما كبيرا من قبل الباحثين، وما لهم من مكانة في الدين والسياسة وشؤون الحياة ككل، إذ بلغ اهتمام بعض الباحثين أن نجعلها تمثل القسم الثاني من نظم الدولة بعد النظم السياسية، كما اعتبر فئة أفراد دفعة العلماء كمرشدين دينيين واجتماعيين، يرتبطون بالمجتمع عن طريق التوعية الفكرية والدينية، والوقوف في وجه الانحراف السياسي والتعسف الضريبي، وهذا ما زاد من قوة مكانتهم.[1]

وقد حظيت هذه الفئة بالاحترام والتقدير من طرف المجتمع، خاصة مع طلبتهم، حيث كان أساس علاقاتهم الاحترام المتبادل بينهم لتفاهم في خدمة العلم والثقافة، لذا كانوا محل إجلال وتقدير، ومن أشهر علماء قسنطينة نجد:

[1] – أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام...، المرجع السابق، ص 387.

1-أبو زكرياء يحي بن محمد الفكون (ت941هـ/1534م)

أبو زكريا يحي بن محمد الفكون، هو جد والد عبد الكريم الفكون (الحفيد)، عاش خلال العهد الحفصي وبداية الوجود العثماني[1]، وكان قاضي الجماعة بقسنطينة **يستشار** أبو زكرياء في العلم، ويرجع إلى قوله، كان له اطلاع على المدونة وله عليها حاشية ضمنها نوازل وقائع قل أن توجد في المطولات[2]، انتقل هذه الأخير إلى تونس وصاهر أحد مشايخها، وهو الشيخ الزليودي، واستخلفه في إمامة جامعها الأعظم بالزيتونة، واشتغل بالإمامة، وافته المنية في تونس، فمات قتيلا في عام 41.[3]

2-قاسم بن يحي بن محمد الفكون (ت 965هـ/1557م):

حيث انتقل والد الشيخ قاسم إلى تونس، تولى هذا الأخير إمامة جامع البلاط، وكان من شيوخه الشيخ العارف الوزان، والشيح مغوش، قال عنه عبد الكريم الفكون في كتابه (منشور الهداية)، كان العم قاسم ممن فاق عصره، وناهيك بهم مشيخة فيهم الشيخ الوزان وحضر، وأثنى عليه[4]، لما عاد القاسم بحي يحي إلى مدينة قسنطينة، أخذ يبث بها العلم، وكان أعيان العلماء يحضرون مجلسه كالشيخ يحي بن سليمان الأوراسي، والشيخ الوزان[5]، عينه باشا الزائر حسن آغا مترجما للقاضي سنة 1541[6]، وتوفي سنة 965هـ، وترم من تقاييده بعض الكراريس على توضيح ابن هشام.[7]

---

[1] – فوزية لزغم، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2013-2014، ص 151.

[2] – عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 41.

[3] – أمجد بوشريط، ابن الفكون وإسهاماته في التأليف، منشور الهداية أنموذجا، مجلة العصور الجديدة، ع 18، جامعة وهران، الجزائر، 2015، ص 91.

[4] – عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 43.

[5] – فوزية لزغم، المرجع السابق، ص 152.

[6] – أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام...، المرجع السابق، ص 15.

[7] – عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 43.

3-أبو عبد الله محمد بن عبد الكرمي الفكون (ت 1045هـ/1632م):

هو محمد الفكون والد عبد الكريم الفكون، صاحب كتاب منشور الهداية، تولى وظيفة الخطابة والإمامة بالجامع الأعظم بقسنطينة، وكان ذا سمعة طيبة وتعفف، وكان فقيها صوفيا، ويرجع إليه في المسائل والإفتاء[1]، توفي محمد الفكون أثناء عودته من الحج في مكان بين الحجاز ومصر سن 1405هـ، ودفن هنا.[2]

يمكننا القول أن عائلة الفكون عائلة عريقة، يعود مجدها إلى ما قبل التواجد العثماني بالجزائر، وعظمت العائلة وكثرت امتيازاتها، ورفعت مكانتهم.

4-بركات بن أحمد بن باديس:

هو الفقيه الصالح سيدي بركات بن أحمد الباديسي، عاش **خلال القرن الهجري**، وربما بداية القرن 11هـ، عاصر عدد من علماء عصره، كالمفتي يحي بن محجوبة، ويحي الأوراسي، ومحمد الفكون والد عبد الكريم الفكون، وهو من العلماء الذين عملوا في الإفتاء.[3]

5-أبو العباس حميدة بن باديس (ت 969هـ/1562م):

ولد بقسنطينة، أبو العباس أحمد، وهو قاضي من فقهاء المالكية، مشارك في بعض العلوم، ولي إمامة جامعة قسنطينة الكبير ثم قضائها[4]، وقال فيه عبد الكريم الفكون في منشور الهداية، القاضي الخطيب أبو العباس المدعو حميد بن باديس، وهو من بيتات قسنطينة وأشرافها، وممن لهم الرياسة والقضاء والإمامة بجامعة قصبتها، وخلف سلف الصالحين علماء حازوا قصب السبق في الدراية والمعرفة والولاية، توفي عام 969هـ بقسنطينة.[5]

---

[1] – نفسه، ص 52.

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 520.

[3] – فوزية لزغم، المرجع السابق، ص 170.

[4] – عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1980، ص 27.

[5] – عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 57.

6-علي النوري بن محمد بن باديس:

الممثل الوحيد لبيت ابن باديس خلال القرن 18م، وهو علي النوري بن محمد، وذلك لأن المصادر الخاصة بتاريخ قسنطينة خلال ذلك القرن قليلة جدا، ورد اسم المترجم له في سجلات المحاكم الشرعية بقسنطينة "العرضي السيد علي النوري بن السيد محمد بن باديس"، وهو من رجال العلم، إذ لم تكن تسند له وظيفة العدالة إلى الفقهاء.[1]

وخلاصة القول، تعد عائلة ابن باديس من العائلات المشهورة بالعلم والثراء، بالإضافة إلى الجاه الاجتماعي والروحي، فقد وصفت الأسرة الباديسية في كتاب منشور الهداية بأنه "دار العلم والصلاح".

7-محمد بن محمد الخطيب الغربي:

محمد بن محمد بن علي أبي القاسم الغربي الميلي القسنطيني[2]، والده الشيخ العالم سيدي أبو العباس أحمد الغربي، والمترجم له هو شارح رسالة سيدنا عمر بن الخطاب، وهي رسالة في القضاء، بعث بها إلى أبي موسى الأشعري، فشرحها بشرح لم يسبق إلى مثله في وصفه، ضمنه جملة من تاريخ ومسائل اعتقادية وصوفية، وحكايات مستطرفة، وكل ذلك يدل على تبحر في العلم وقيامه بوظيفته[3]، تولى محمد الخطيب الغربي قضاء الجماعة، ولما انتقل إلى تونس في عهد السلطان أبي عمر وعثمان (حكم من 839-893هـ)، تولى القضاء هناك أيضا، وفي المجلس العلمي لهذا السلطان الذي كانت تدور فيه محاورات العلماء في فنون الشريعة والمواعظ والأدب وغيرها، تكلم محمد الغربي القسنطيني على الرسالة، ونال بذلك رضى السلطان وإعجاب العلماء.[4]

[1] – فوزية لزغم، المرجع السابق، ص 174.

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص 132.

[3] – عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 133.

[4] – أبو القاسم يعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص 133.

8-أبو الفضل بن محمد الغربي:

هو ابن محمد الغربي، يدعى بأحمد الغربي، عاش خلال القرن 10هـ، وكان من فقهاء قسنطينة، ومن أهل الشوى والتصدير، أصابه خبل في عقله آخر عمره، أقضى الأمر فيه إلى أن سجن بسببه.[1]

9-أبو عبد الله محمد القسنطيني (ت1015هـ/1606م):

هو أبو عبد الله محمد القسنطيني الشهير بابن قنفذ من أهل قسنطينة، رحل إلى المشرق وأقام مدة في دمشق، ألف خلالها كتابه إدريسية النسب في الأمصار وبلاد العرب، انتهى منه سنة 1001هـ، منه مخطوط بالرباط وثانية بالقاهرة.[2]

10-أبو راشد عمار الغربي (ا1251هـ/1835م):

هو العلامة الشيخ أبو راشد عمار الراشدي المعروف بالغربي، كان أديب له البال الطويل في المعقول والمنقول وشاعرا ولي الفتوى المالكية والخطابة سيدي علي بن مخلوف، والتدريس بمدرسة الكتاني، ثم إلى جامع القصبة، ألف حاشية جليلة على الشيخ إبراهيم الشبرخستي، شارح المختصر، توفي في جمادي الثانية من سنة 1251هـ.[3]

نستنتج أن أسرة ابن القنفذ ظلوا محافظين على مكانتهم الاجتماعية والعلمية منذ بداياته إلى غاية نهاية العهد العثماني، ولذلك يعد من أقدم البيوتات العلمية في قسنطينة، ولذلك بفضل الدور العلمي الذي لعبه علماء وفقهاء هذه الأسرة العلمية.

11-عمر الكماد الأنصاري القسنطيني المعروف بالوزان (ت965هـ/1588م):

وصفه الشيخ أحمد المنجور في فهرسته فقال: هو الفقيه العالم الكبير، المتضمن المحقق الراسخ الصالح أبو الحفص، كان آية يبهر العقول في تحقيق فنون المنقول والمعقول، من عباد الله الصالحين[4]، ويقول ابن شغيب: هو أبو حفص عمر بن عبد الخالق

[1] – عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 56.

[2] – عادل نويهض، المرجع السابق، ص 270.

[3] – محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، المصدر السابق، ص 285.

[4] – يمينة سعودي، الحياة الأدبية في قسنطينة خلال الفترة العثمانية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006، ص 67.

الوزان، نسبة إلى واد الزان ببلدة المغرب الأقصى، وربما كان لفظ–وزن–مشتقا من الوزن، ومعناه القائم بالحق بين الناس وإعطاء الميزان حقه لاشتغال سلفه بالتجارة[1]، وقال عنه الفكون شيخ الزمان وياقوتة العصر والأوان العالم العارف أبي الحفص الوزان، ولد بقسنطينة حوالي (906هـ/1502م).[2]

12–أحمد الكماد:

هو أبو عبد الله محمد الكماد، تتلمذ على يد الشيخ الوزان، وله قرابة به، تولى أول أمره منصب القاضي الجامعة بقسنطينة، ثم أصبح نائبا على قضات المعجم، وكان معاصرا القاسم الفكون (965هـ)، كان معروف بالفصاحة وكثير النثر والشعر[3]، وقد كانت فتاوى محمد الكماد محل اعتبار لدى معاصريه، وقد قيد الفكون بعضها في توازنه.[4]

على ضوء ما ذكرناه، نخلص إلى أن مدينة قسنطينة عرفت علماء وأسر علمية، حملت راية العلم وتمكنت من البروز في عدة مجالات، وشهدت ولادة عدة علماء كبار، من أبنائها ذوي المكانة العلمية والثقافية الكبيرة، توارثوا العلم جيلا بعد جيل، وساهموا في إخراج الأمة حاملة مشعل العلم، وبقيت آثارهم وإسهاماتهم الفكرية، سواء كانت مخطوطة أو مطبوعة محل اهتمام الباحثين والدارسين.

يتبين لنا من خلال هذه الأعلام التي تطرقنا إلى ذكرها، أن المدينة عرفت نهضة ثقافية ودينية كبيرة، جعلت منها في مقدمة المدن الجزائرية، رغم ما عرف من العثمانيين من إهمالهم الجانب الثقافي، ولا يقتصر الأمر على هذا المجال فقط على المؤسسات بل هي أيضا على العلماء الذين كان لهم دور كبير في ازدهار الوضع الثقافي بالمدينة وبالإقليم، وحتى بكامل مناطق الجزائر آنذاك.

---

[1] – محمد المهدي، المصدر السابق، ص 140.

[2] – عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 35.

[3] – نفسه، ص 44.

[4] – فوزية لزغم، المرجع السابق، ص 186.

الفصل الثالث

المؤسسات التعليمية وعلاقاتها بالأوقاف

المبحث الأولـــ: المدارس

المبحث الثاني: الكتاتيب

المبحث الثالث: البيوتات العلمية

إذا كنا في الفصول السابقة، قد تحدثنا عن المؤسسات الوقفية وركزنا على مؤسستي المسجد والزاوية، وأيضا فئة العلماء، إلا أن حديثنا لا يمكنه أن يهمل مؤسسات كان لها هي الأخرى دور كبير في الحياة الثقافية والدينية، ونقصد بها المؤسسات العلمية أو التعليمية، التي رأينا أنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالأوقاف، ومن بين هذه المؤسسات التعليمية:

المبحث الأول: المدارس

ظهرت المدارس في المدارس الإسلامية بعد اتساع الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية، وكذلك بعد اكتساب المسلمين العديد من ثقافات وحضارات الشعوب، ودعت هذه الأخيرة بضرورة اقتباس علومها ومعارفها، وعادة كانت المدارس تؤسس بجانبي المسجد، نظرا للأهمية التي كانت موجودة بين المسجد والمدرسة، وباعتبار أن المسجد كان مكانا للعبادة والعلم في آن واحد، وقد عرف أبو راس الناصري على أنها دار العلم، أي تعليم العلوم، واشترط في المدرسة أن يكون فيها بيت للصلاة، وقد تنوعت العلوم والمعارف التي تدرس فيها فهي ثلاثة أصناف.

- العلوم الدينية: تقوم على تحفيظ القرآن الكريم، وتفسير الحديث، وتعليم الفقه والتوحيد والمنطق والأصول.
- علوم اللغة العربية وآدابها: كالنحو، الصرف، البلاغة، العروض وقواعد الإنشاء.
- العلوم الطبيعية والتجريبية: كالفلك، الحساب، الطب والصيدلة الشعبية.[1]

ولقد كثرت في الجزائر المدارس الابتدائية، حتى كان لا يخلوا منها حي من الأحياء في المدن ولا قرية من القرى في الريف، بل إنها كانت منتشرة حتى بين أهل البادية والجبال النائية، وهذا ما جعل جميع الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني ينبهرون من كثرة المدارس بها وانتشار التعليم وندرة الأمية بين السكان، وقد عد بعضهم العشرات من هذه المدارس.

[1] – بن شيبان آسيا، الأسر والبيوتات العلمية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني 1518–1830، مذكرة ماستر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018–2019، ص 20.

وكانت الأوقاف والصدقات تلعب دورا هاما في انتشار المدارس ونشر العلم.[1]

وقد ذكر ابن قنفد أن أبا علي حسن بن أبي القاسم بن باديس، قال أن السلطان أبا الحسن المريني أراد أن يبني مدرسة بقسنطينة، وهذا ما يدل على أن مدينة قسنطينة عرفت إنشاء المدارس منذ أزمنة طويلة، لكن هذا الأخير لم يكتب له إنشاؤها، فقد تم نقله إلى تونس.[2]

وكان هناك أيضا مدرسة أخرى عرفت باسم مدرسة "شقرون"، ثم أصبحت تعرف باسم مدرسة الفكون، فكان يتم فيها تدريس القرآن الكريم ومختلف علومه، وكذلك علم النحو، وجد في هذه المدرسة ضريح محمد شقرون، وعند وفاة الجد عبد الكريم الفكون تم دفنه هناك، وبقيت المدرسة قائمة إلى عهد عبد الكريم الفكون الحفيد، وكان أحفاد الفكون كلهم قد دفنوا في هذه المدرسة إلى جانب محمد شقرون.[3]

ولم تكن بقسنطينة في هذه الفترة المدارس فقط، وإنما وجدت العديد من المدارس الابتدائية الأخرى، فقد وجدت فيها في أواخر العثماني حوالي 90 مدرسة، أما بالنسبة إلى التعليم العالي والثانوي، فقد وجد فيها 7 مدارس، وقد كانت حركة التعليم في قسنطينة تسير بطريقة عادية.[4]

ويمكن القول أن هذه المؤسسة كانت قد أخذت حقها من اهتمام السلطة العثمانية آنذاك، وانقسم نشاطها بين ما هو ديني وبين ما هو علمي، مثلما سنلاحظ في العنصر الموالي.

أولا: العلوم المدرسة

من أبرز العلوم التي كانت تدرس في مدارس قسنطينة نذكر:

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص 275.

[2] – أبو العباس أحمد الخطيب ابن قنفد القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، تص، محمد الفاسي وأدولف قور، المركز الجامعي للبحث العلمي، المغرب، 1965، ص 71.

[3] – عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 51.

[4] – يمينة سعودي، المرجع السابق، ص 44.

1-العلوم الدينية:

ونقصد بها العلوم الشرعية، وهي الدراسات القرآنية التي كثرت خلال العهد العثماني، حيث أن جل الإنتاج انحصر فيها، رغم افتقاره للجدية والإبداع، فقد اعتمد على التقليد والتكرار، وفقهاء هذه العلوم لم يجتهدوا، بل اكتفوا بتقليد من قبلهم، ومن بين هذه العلوم نذكر:

أ-التفسير:

وقد كان تدريس هذا العلم معروفا بين العلماء، إلا أنه هو الآخر تميز بالتقليد، فمعظم مفسري القرآن الكريم كانوا يكررون أن يقلدون أقوال من سبقهم من المفسرين، وقلما ما يأتون برأي جديد.[1]

ب-الحديث:

لقي هذا العلم نوعا من العناية، سواء من حيث التدريس أو التأليف أو الرواية، وقد اعتمد بشكل كبير على الحفظ، ولا نكاد نجد مدرسا إلا وأجاد في تدريسه، أما الأماكن التي درس بها هذا العلم، في جوامع كبيرة، وكان لا يتولى إملاء الأحاديث إلى العلماء والكبار والذين لهم أصوات حسنة.[2]

ج-المنطق:

الإنتاج في هذا العلم قليل، أو يمكن القول أنه نادر باستثناء ما قدمه قلة من العلماء، مثل ابن قنفد القسنطيني، وهذا يعود لسببين، الأول كونه علم صعب يتطلب المعرفة الواسعة بكتابات السابقين والأجانب، والإضافة عليها ونقدها، والثاني هو طغيان علم التصوف، وكان عبد الرحمن الأخضري من أبرز مؤلفي هذا العلم.[3]

2-علوم اللغة:

لم يكن هناك كثير من التأليف في هذه العلوم، إلا أن الاهتمام كان منصبا على:

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، المرجع السابق، ص ص 9-13.

[2] – نفسه، ص 25.

[3] – نفسه، ص ص 149-150.

أ-النحو:

من أبرز من تناوله زيان بن قائد القسنطيني، فقد كانت له دراسات في هذا المجال، وذكر الورثلاني أن هذا العلم كان له عناية في قسنطينة، ومن بين الذين اشتهروا في هذا الميدان أيضا عبد الكريم الفكون، الذي كانت له مجموعة من المؤلفات كذلك، أما عاشور الفيكرين القسنطيني، فقد عرف بتدريسه لهذا العلم، ومن بين الذين درسوا هذا العلم في قسنطينة أيضا الشيخ محمد التواتي، ومن أبرز تلاميذه عبد الكريم الفكون.

ب-علم البيان والمعاني:

من العلماء الذين برزوا في هذا العلم عبد الرحمن الأخضري، الذي ألف الجوهر المكنون وشرحه بنفسه، لكنه توفي قبل أن يتم شرحه، فكان هذا حافزا للعلماء كي يتموا هذا النقص، ومنهم أحمد بن المبارك العطار القسنطيني، في مؤلفه نزهة العيون وأيضا عبد الكريم الفكون.[1]

3-العلوم الطبيعية والتجريبية:

إذا أردنا التحدث عن هذه العلوم من طب وحساب وفلك خلال العهد العثماني، نلاحظ أنه كان يتم تدريسها في المدارس، ولم تحظ بعناية كبيرة، كما أنها لم تخرج عن ظاهرة التقليد فحلت محل الحساب معلوم سطحية عن تعديل وقسمة التركات، وحلت محل الطب الخرافات والشعوذة، ومن بين علماء قسنطينة الذين ألفوا في هذا المجال نجد عبد الرحمن الأخضري، فقد نظم خمسمائة بيت سماها "الدرة البيضاء" وقسمها إلى ثلاث أقسام، الأول خاص بالحساب، والثاني بقواعد الفرائض أما الثالث بالقسمة العلمية للتركات، وقد شرح هذا التأليف بنفسه.[2]

وقد ذكر الورثلاني صاحب الرحلة، أن قسنطينة عرفت فترة ازدهار هام في إنشاء المدارس خلال عهد صالح باي، الذي أسس المدارس، وأنشأ مدرسة ومسجدا وكتابا ومكتبة،

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، المرجع السابق، ص ص 157-167.

[2] – نفسه، ص ص 401-405.

وذكر صالح باي في سجله للأوقاف، أنه وجد مدرستين ثانويتين هما: مدرسة بوقصيعة ومدرسة ابن خلدون، أما عدد مدارس قسنطينة في ذلك الوقت، فلم يذكر عنها أي شيء في سجله.[1]

ثانيا: نماذج عن المدارس

ومن بين المدارس التي كان لها صدى واسع أواخر العهد العثماني في مدينة قسنطينة، هما مدرسة الأخضرية التي أنشأها إلى جانب الجامع الأخضر، والمدرسة الكتانية التي أنشئت إلى جانب جامع سيدي الكتاني.

أ-المدرسة الأخضرية:

أنشأها صالح باي سنة 1778، وأسس لها نظاما، حيث قال عنها فايسات أنها تشمل مسجدا وخمسة بيوت، منها أربعة لثمانية من الطلاب، كل طالبين في غرفة، إضافة إلى غرفة للمدرس.[2]

كان الطلبة المتواجدين في المدرسة يتوزعون كالتالي: اثنين في كل غرفة، ويقف على المدرسة وكيل مكلف بمداخيل ومصاريف المدرسة، وحددت أجرة المدرس في هذه المدرسة بـ 30 ريالا في السنة، وأجرة الوكيل بـ: 08 ريالات، والبواب بـ: 07 ريالات، لكل طالب من الطلبة المجاورين 06 ريالات سنويا، وكانت الطريقة تتم على النحو التالي:

يدرس المدرس ثلاث دروس في اليوم، المدرس الأول يبدأ من الصبح إلى غاية الحادية عشر، أما المدرس الثاني فمن الظهر إلى العصر، والمدرس الأخير ما بين العصر والمغرب، وكان على كل طالب أن يقرأ أربعة أحزاب من القرآن الكريم في اليوم الواحد، حزبين بعد صلاة الصبح وحزبين بعد صلاة العصر، وإثر التلاوة يقرأ الفاتحة ثم الدعاء لمؤسس المدرسة.[3]

كما وضعت لهذه المدرسة شروطا ونظاما على النحو التالي:

---

[1] – راوية جريدي وآخرون، المرجع السابق، ص 44.

[2] – نفسه، ص 45.

[3] – نفسه، ص 45.

1- لا يقبل في المدرسة الطالب الذي لا يحفظ القرآن الكريم، ولا يوجد أي حرج، وإذا كان مالكيا أو حنفيا أو كان من المدينة أو الريف.
2- النوم في المدرسة ولا خروج إلا للحاجة.
3- للطالب عطلة سنوية مقدرة بحوالي 20 إلى 30 يوما، وإن تأخر دون عذر فإنه يفصل منها.
4- إذا درس الطالب في المدرسة ولم يظهر براعته في ذلك العلم خلال عشر سنوات فإنه يفصل.

ومن بين خريجي المدرسة عبد القادر الراشدي المفتي الحنفي، وشعبان بن جلول قاضي الحنفية، والشيخ العياشي قاضي المالكية.[1]

ثالثا: المدرسة الكتانية

بنيت في عهد صالح باي سنة 1780، وهي تقع إلى جانب الجامع الكتاني، وقد خصصت لدراسة مختلف العلوم الدينية والدنيوية وفق نظام تعليمي أقامه صالح باي يتعلق بالإقامة داخل المدرسة، سواء الطلاب أو المدرسين أو القائمين عليها، ولعبت هذه المدرسة دورا إشعاعيا، فكريا وتربويا بالمدينة.[2]

كانت هذه المدرسة بمثابة مستوى التعليم الثانوي والعالي، نفس النظام الذي وضعه صالح باي للمدرسة الأخضرية، وضعه كذلك في هذه المدرسة، وكانت المدرسة تضاهي المدارس الأجنبية العليا المعاصرة لها، وهذا ما جعل المدرسة تلعب ذلك الدور الكبير الذي أشرنا إليه في المجال الثقافي، وبقيت على هذا الدور حتى في العهد الفرنسي، وهي ما تزال قائمة إلى اليوم.[3]

[1] – أحمد الشريف الزهار، مذكرات أحمد الشريف الزهار، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 161.

[2] – راوية جريدي وآخرون، المرجع السابق، ص 46.

[3] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص 284.

والحق أن الطابع الديني في التعليم داخل هذه المدارس هو الذي طغى مقارنة بالعلوم الأخرى كالطب والرياضيات والكيمياء والفلك، كانت متواضعة، وهذا ما جعل القنصل الأمريكي وليام شالر يقول أن بقية العلوم لم تكن موجودة بالجزائر، وإن وجدت فهي محتقرة بل إن علم الطب نفسه لا يوجد من يدعيه، وإنما القرآن هو كل علوم هؤلاء.[1]

صفوة القول أن المدرسة كمؤسسة تعليمية، ذات صلة بالمؤسسات الوقفية قد نالت هي الأخرى اهتمام القائمين في السلطة العثمانية بمدينة قسنطينة، وإذا كانت فترة صالح باي هي فترة ازدهار المساجد والزوايا، فإن الأمر لم يختلف مع المدارس باعتبار أن كل هذه المؤسسات ترتبط ببعضها البعض، وترتبط جميعها بفترة الاستقرار السياسي الذي شهدته المدينة والإقليم في عهد حكم صالح باي.

رأينا في المبحث السابق، أن المدارس من المؤسسات التي انشترت في ربوع العالم الإسلامي، بعد أن احتك المسلمون بغيرهم من الشعوب والحضارات الأخرى، وانتشر هذا النوع في كل دول العالم، وزاد انتشارا وتطورا مع الوقت، إلا أن المدرسة كمؤسسة تعليمية لم تكن وحدها في الساحة العلمية والثقافية، إذ وجد بجانبها نوع آخر من المدارس إن صح التعبير، اصطلح على تسميته بالكتاتيب، وهو ما سنتناوله في المبحث الموالي.

المبحث الثاني: الكتاتيب

1-تعريف الكتاتيب:

هي أقل وحدة للتعليم الابتدائي، وتعرف أيضا باسم المكتب، وكان يطلق عليها اسم السيد، وهي كلمة محرفة من كلمة مسجد[2]، وهي المكان الذي يتلقى فيه التلميذ دروسه الأولى وتربيته الأساسية، وقد أسست هذه الكتاتيب من أجل الحفاظ على طهارة ونقاوة المساجد، ويقصدها الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين سنة إلى عشر سنوات، وهي عبارة

[1] – حميدة زروقي، صالح باي ودوره في الحياة الفكرية والعلمية في قسنطينة 1771-1792، مذكرة ماستر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2013-2014، ص 34.

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص 276.

عن بيوت منفردة أو حجرة أو دكان أو جناح في المسجد، وقد كان بعض الواقفين عليها يكتفون بفتح غرفة في المنزل ويجعلها كتابا.

وكانت الكتاتيب منتشرة في جميع أحياء المدينة، أما القائمين عليها فكانوا من مختلف طبقات المجتمع، من باشاوات وبايات وموظفين، فقد كانوا يشتركون مع الأهالي في هذه المهمة.[1]

وتجدر الإشارة إلى أن مساحة الكتاب تختلف من كتاب إلى آخر، وغالبا ما يشتمل الكتاب على أربعة حجرات، واحدة لتعليم الصبيان، والثانية سكن للطبة، والثالثة للصلاة، أما الرابعة فتخصص للمؤونة والأدوات الضرورية، ويوجد الكتاب على العموم ضمن أحد المنازل بالحي، أو ملحقا بأحد المساجد، وكان يبني الكتاب شخص احتسابا لمرضاة الله، أو قد يكتريه معلم من صاحبه ليعلم فيه بأجرة ويتقاضاها من أولياء التلاميذ.[2]

ويمكن القول أن طرق التدريس تتم عبر مراحل، وهي على النحو التالي:

-المرحلة الأولى:

يتم فيها تعليم كيفية نطق الأحرف، حيث يحضر هذا الطفل إلى الكتاب وتقدم له لوحة في **الجهة** الأولى تسجل فيها حروف الهجاء بالعربية، والجهة الثانية تسجل عليها سورة الفاتحة، ثم يبدأ الطفل بحفظ هذه السورة، بعد أن يحفظها يقوم بمحوها ويكتب السورة الموالية، وتبقى الحروف مسجلة حتى يحفظها التلميذ، أولا بأسمائها ثم ينتقل إلى نطقها بالعامية، وبعدها يتعرف على رسم الحروف وأشكالها ومعرفة وجه الشبه بينهما.

-المرحل الثانية:

تتمثل في كتابة المعلم سورا من القرآن الكريم، ويقوم التلميذ بتمرير قلم غليظ على ما كتبه المعلم.

[1] – رواية جريدي وآخرون، المرجع السابق، ص 38.

[2] – نفسه، ص 38.

-المرحلة الثالثة:

يكتب المعلم سطرا ويترك سطرا، فيأتي التلميذ لينقل ما كتبه المعلم في السطر الأول.

-المرحلة الرابعة:

يقوم التلميذ بتهجئة الكلمة التي يمليها عليه المعلم، ويرجع عدد كل حرف يريد كتابته إلى حرف الهجاء المكتوب على اللوحة.[1]

والحق أن هذا النوع من الكتاتيب، قد عرف هو الآخر تطورا كبيرا بعد أن كان مرتبطا بالمسجد من حيث البناء والنشاط، أصبح في مرحلة ثانية يرتبط بالمسجد من حيث النشاط فقط، ويمكن القول أن الكتاب هي المرحلة الأولى التي تسبق الالتحاق بالزوايا والمساجد، فهي تستقبل الطفل في بداية مرحلة الدراسة لتعطيه أبجديات الكتابة والقراءة، تهيؤه للالتحاق بمؤسسات أخرى.

ونتيجة لدور الكتاب في تهيئة الطفل نفسيا ومعرفيا، فقد اهتم الأهالي بهذا النوع من المؤسسات واعتبروها عملا خيريا قبل أن يكون تعليميا.

إذا كانت البيوتات العلمية قد ظهرت في العالم الإسلامي، وارتبطت بالعصر الوسيط تحديدا فإنها امتدت هذه الظاهرة إلى الفترة العثمانية، وفي مدينة قسنطينة التي شهدت ظهور بيوتات علمية عددية ورثتها عن الفترة الموحدية وتجسدت في ميادين الفقه والقضاء، وهو ما سنوضحه في هذا المبحث.

المبحث الثالث: البيوتات العلمية

1-مفهوم البيوتات العلمية:

أ-المفهوم اللغوي:

قال ابن منظور في مفهوم البيوتات: بيت مفرد وجمعه بيوت، والبيت من بيوتات العرب الذي يضم شرف القبيلة، ويقال: بيت تميم في بني حنظلة أي شرفها.

[1] – مفتاح تيراري، التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر منظور الدراسات النفسية التربوية المعاصرة، مجلة الإنسانيات، مركز البحث الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ع 56-57، 2001، ص 15.

ب-التعريف الاصطلاحي:

بالنسبة للتعريف الاصطلاحي، فنجد ابن خلدون في كتابه "المقدمة"، يقول: معنى البيت هو أن يعد الرجل في أبنائه أشرافا مذكورين، تكون له بولادتهم إياه، والانتساب إليهم، تجلة أهل جلالته لما وقر في نفوسهم من تجلة سلفه وشرفهم فجلا لهم[1]، والشريف الذي يعنيه ابن خلدون هنا، فهو يرتبط ارتباطا وثيقا بالحسب والعصبية في القبيلة، التي معناها البيت، والزمخشري قال في هذا الصدد: «إذا قلنا فلان من أهل البيوتات، بمعنى أنه من بيت كريم»، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن كريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»[2]، وهذا دلالة على العفة والعظمة، وفي القرآن الكريم جاء مصطلح البيوتات بصيغة المفرد، ولم يرد بصيغة الجمع لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾.[3]

2-ظهور البيوتات في مدينة قسنطينة:

نعتقد أن استعمال مصطلح البيوتات شاع في القرن (8هـ-14م)، من طرف نخبة المغرب الأوسط الذين كتبوا في مناقب الأسر العلمية، وأرخوا لها كعبد الرحمن ابن خلدون (808هـ/1405م)، وأخوه يحي (870هـ-1378م)، وكذلك مؤرخ قسنطينة ابن قنفد الخطيب (810هـ-1407م).[4]

أما ظاهرة البيوتات في مدينة قسنطينة، فقد كان ظهورها في العهد الموحدي كما ذكرنا آنفا، وذلك لما شهدته المدينة من حياة علمية نشطة قادها رجالها وعلماؤها الذين اشتهروا بالتدريس والتأليف، ولقد لعبت تلك الأسر العلمية دورا فعالا في المدينة على

[1] - جمال الدين ابن منظور، المصدر السابق، ص 167.

[2] - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998، ص 86.

[3] - سورة الأحزاب، الآية 33.

[4] - بن شيبان آسيا، المرجع السابق، ص 9.

المستوى الاجتماعي والثقافي والسياسي، وحتى على الصعيد التجاري، مما أدى إلى تنشيط الحركة الاقتصادية نفسها.

ومن عوامل ظهور هذه البيوتات نذكر:

أ- الجو الثقافي الملائم الذي وفرته السلطة، وذلك خلال المنافسة بين أمراء المغرب وتشجيع الاشتغال بالعلم، حيث قربوا العلماء واستقطبوا مشاهيرهم من مختلف أنحاء المغرب والأندلس، حتى صار البلاد يعج بهم، وكل ذلك راجع إلى أن بعض الأمراء كانوا على نصيب من العلم والثقافة، يعقدون المجالس العلوية، ويتصون المناقشة لها، ويقدرون رجال الفكر ويرفعون من منزلتهم.[1]

ب- كان أغلب سكان مدينة قسنطينة من الحضر، واستطاعت العديد من عائلاتها أن تحصل ثروات كبيرة، لا سيما العائلات القريبة من السلطة، أو تلك التي تشتغل بالتجارة، وبالتالي الجاه والمكانة الاجتماعية المرموقة، تكونت بيوتات قسنطينة التي اشتهرت بالتنافس فيما بينها حول النفوذ والامتيازات في المدينة.[2]

ج- الاعتناء بالمؤسسات التعليمية والدينية وبرجال الفقه والعلم والأدب، وتشجيع التأليف والتصنيف، وإنشاء المكتبات والمراكز التعليمية المختلفة كالمدارس والمساجد والزوايا، وتوفير الكتب لها.

د- تعود هذه الظاهرة خاصة إلى الوعي الذي كان سائدا بالمدينة وأعيانها.[3]

---

[1] – بجلال نصيرة، البيوتات العلمية في قسنطينة ما بين القرنين 7-10هـ/ 13-16م، مذكرة ماستر، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، 2016-2017، ص 46.

[2] – أبو العباس أحمد القسنطيني ابن قندفد، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي التيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1968، ص 148.

[3] – عبد العزيز فيلالي، أبرز علماء قسنطينة وأثرهم في بلاد المغرب والمشرق خلال العهد الحفصي (ق 7-10هـ/13-16م)، مجلة جامعة قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع1، دار نوميديا، قسنطينة، جوان 1990، ص 19.

هـ- وجود الناسخين والخطاطين والوراقين الذي يتمتعون بمكانة علمية هامة، حيث كانت دكاكينهم ومحلاتهم مقرا للعلم والقراءة والطبع والنسخ.[1]

و- الشرف والنسب العربي الذي كانت تتمتع به هذه العائلات، كما كانت صاحبة نفوذ ولها العديد من الحلفاء من أهل القبائل والعشائر، هذا مما جعلها تحتكر الجاه والمال والعلم والوظائف الدينية.[2]

ونخلص من خلال هذا الفصل إلى أن مدينة قسنطينة قد شهدت نشاطا كبيرا للمؤسسات التعليمية الموازية للمساجد والزوايا، حيث كانت هذه المؤسسات تدعيما للمساجد والزوايا، خصوصا في الجانب العلمي، كان نشاط هذه المؤسسات يعتمد أساسا على مساهمة الأهالي في البناء والتمويل، وبما أن المدينة قد عرفت ازدهارا ثقافيا، فهذا مرده من جهة إلى نشاط هذه المؤسسات، ومن جهة أخرى التحفيز والتشجيع المادي والمعنوي الذي وجده العلماء وطلبة العلم لدى السلطة العثمانية آنذاك، فانتشرت المؤسسات واتسعت فئة العلماء وراجت البيوتات العلمية.

[1] – عبد العزيز فيلالي، جوانب من الحياة الثقافية والفكرية لمدينة قسنطينة في العهد الحفصي، مجلة معهد العلوم الاجتماعية، ع 10، جامعة قسنطينة، الجزائر، أفريل 1988، ص 73.

[2] – بن عمر علال، الحركة العلمية وبيوتات العلماء في مدينة قسنطينة (ق 7-10هـ/13-16م)، رسالة ماجستير، قسنطينة، 2011، ص 175.

خاتمة

خاتمة:

بعد أن تناولنا موضوع الأوقاف في بايلك الشرق، وبالتحديد قسنطينة، وبعد أن عرجنا على مختلف عناصر الموضوع من مباحث وفصول، توصلنا إلى رصد مجموعة من النتائج التالية:

- انفراد بايلك الشرق وعاصمته قسنطينة بخصائص جغرافية وطبيعية، جعلت من الإقليم إقليما متميزا، فهو أكبر أقاليم الجزائر مساحة واتساعا وتنوعا، كما يربط إقليم التيطري بالجارة تونس، ويربط البحر بالصحراء، كل ذلك جعله محل اهتمام العثمانيين.
- عرف الإقليم فترات مختلفة تميز بعضها بالتوتر، في حين عرف الإقليم أيضا فترة سلم جعلت من حكام الإقليم يولون أهمية بالغة للمؤسسات الوقفية الكثيرة والمتعددة.
- يمكن القول أن صالح باي قد ارتبط اسمه وفترة حكمه بأزهى فترات الإقليم والمدينة، حيث شهدت فترة حكمه نهضة ثقافية استفاد منها مجال الأوقاف، ولم تقتصر هذه النهضة على الجانب الثقافي والديني، بل أيضا شملت المجالين الاجتماعي والاقتصادي.
- لازالت قسنطينة تحتفظ بالموروث الكبير من المؤسسات الوقفية العلمية والدينية، حيث تمتلك مدينة قسنطينة العريقة باعتبارها أكبر وأعرق المدن الجزائرية كما ذكرنا آنفا، ولا تزال تحتفظ بهذه المعالم منها جامع سوق الغزل، أو جامع حسن باي شرق قصر أحمد باي، علاوة على ذلك تمتلك مدينة قسنطينة الجامع الأخضر الذي يقع قرب من رحبة الصوف، ضف إلى ذلك جامع سيدي الكتاني الذي يقع بجوار سوق العصر ويرجع لسنة 1776، وكان ذلك على يد صالح باي الذي حكم قسنطينة، علما أن هذه الجوامع كانت تتوفر على مدارس لتعليم القرآن.

ومن المعالم الأثرية نجد زاوية عبد المؤمن وزاوية حصنالة والتي كانت تعرف بزاوية النجارين.

عرفت مدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري بعلمها وتراثها العتيق، إذ يكفي أنها بهذا أصبحت تدعى بمدينة العلم والعلماء، وهذا ليس وليد زمن قصير، بل الأمر يرجع إلى العديد من العلماء والأدباء من بينهم عبد الحميد بن باديس من أكبر فقهاء الجزائر، وكذلك محمد بن الكماد، عالم وشاعر عله مسجد بالمدينة يدرس به أصول الدين والسير، وقاضي يوم الجمعة الشيخ الوزان عالم ومدرس لأصول الفقه والشريعة تتلمذ عنه الكثيرون.

- أولى العثمانيون أهمية بالغة للوقف، حيث أعطوا هذه المؤسسات الوقفية أهمية بالغة، وظهر ذلك جليا في المساجد والزوايا الذي ذكرنا معظمها آنفا.
- ترجمت المؤسسات الوقفية في قسنطينة الحركة الثقافية بالإقليم والجزائر العثمانية، بمعنى أخر أن ازدهار هذه المؤسسات كان مرآة عاكسة للواقع الثقافي والديني للإقليم وتحملت هذه المؤسسات أعباء النهوض بالواقع الثقافي.
- لم تتوقف هذه المؤسسات على دورها الثقافي والديني، بل كانت لها أدوار سياسية في المرحلة العثمانية وما بعدها، ولا نبالغ إن قلنا أن هذه المؤسسات قد حولت المدينة إلى إحدى القلاع المحصنة ضد محاولات فرنسا لطمس المعالم الشخصية الجزائرية.
- أدت الأوقاف بمختلف مؤسسات دورا كبيرا في تحسين الواقع الاقتصادي، إذ كان لأموال الوقف دور في تلبية الحاجيات الضرورية للجزائريين في تلك الفترة، فإذا كانت دينيا وثقافيا معقل للدفاع عن الدين واللغة، فقد كانت اجتماعيا ملجأ للفقراء والمساكين تعيرهم بالمأكل والملبس وإقامة مشاريع تعود بالخير والفائدة على هؤلاء الفقراء.
- وقد تجلت مظاهر الحياة الثقافية بقسنطينة من خلال المؤسسات العلمية التي ظهرت قبل الوجود العثماني، واستمرت خلاله، وقد حملت على عاتقها مسؤولية

التعليم، وتمثلت هذه المؤسسات في المدارس التي وجد العديد منها، وما ميز التعليم بها هو مروره ثلاثة مراحل وفلق مناهج وأنظمة داخلية معينة مثل ما هو الحال بالمدرسة الكتانية وأيضا وجدت الكتاتيب التي تميزت بشكلها البسيط وإمكانياتها المتواضعة، إلا أنها كانت أساس التعليم، وإن كانت هذه المؤسسات بسيطة في الهياكل والوسائل، إلا أنها كانت حديثة الطرق التعليمية من جهة، وناجحة في التحصيل والفائدة للمتمدرسين والملتحقين بهذه المؤسسات.

- أدت الحركة الثقافية المزدهرة بالمدينة إلى ظهور الكثير من البيوتات العلمية التي اشتهرت بمكانتها العالية بمدينة قسنطينة، بيت ابن الفكون الذي ظل محافظا على مكانته، فتميز بالجاه والمجد والعلم ومما ساهم في بروز بيت الفكون هو تصدي عدد من علمائه للتدريس والفتوى.
- كما أن بيت القنفدي لم يكن أقل شأنا من سابقه، فهو الآخر لعب دورا علميا وسياسيا واجتماعيا كبيرا خلال الفترة العثمانية، فتوارث هذه البيت واستحوذ على المناصب السامية كالإمامة والخطابة، إضافة إلى القضاء والإفتاء، وقد ساهم في دفع الحركة الثقافية إلى الأمام تصدي أبنائها للتدريس والتأليف.
- نعتقد أن المدينة ومن خلال ميزاتها سالفة الذكر، ومن خلال مؤسساتها الوقفية وبيوتاتها العلمية استحقت أن تكون عاصمة لهذا الإقليم ومركز للإشراق وتسيير شؤونها ليس فقط الجانب الثقافي والديني بل حتى الجوانب السياسي والاجتماعية والاقتصادية.

الملاحق

الملحق رقم (01): موقع جامع سيدي الكتاني مقابل السوق

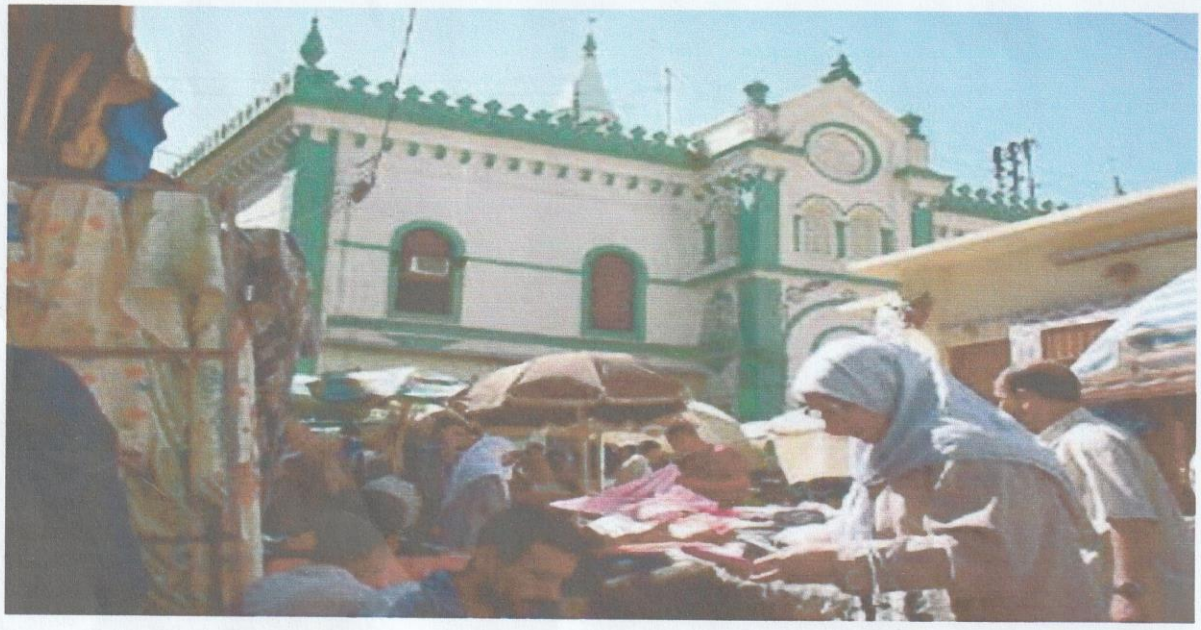

الملحق رقم (02): منظر جانبي لمنبر جامع سيدي الكتاني

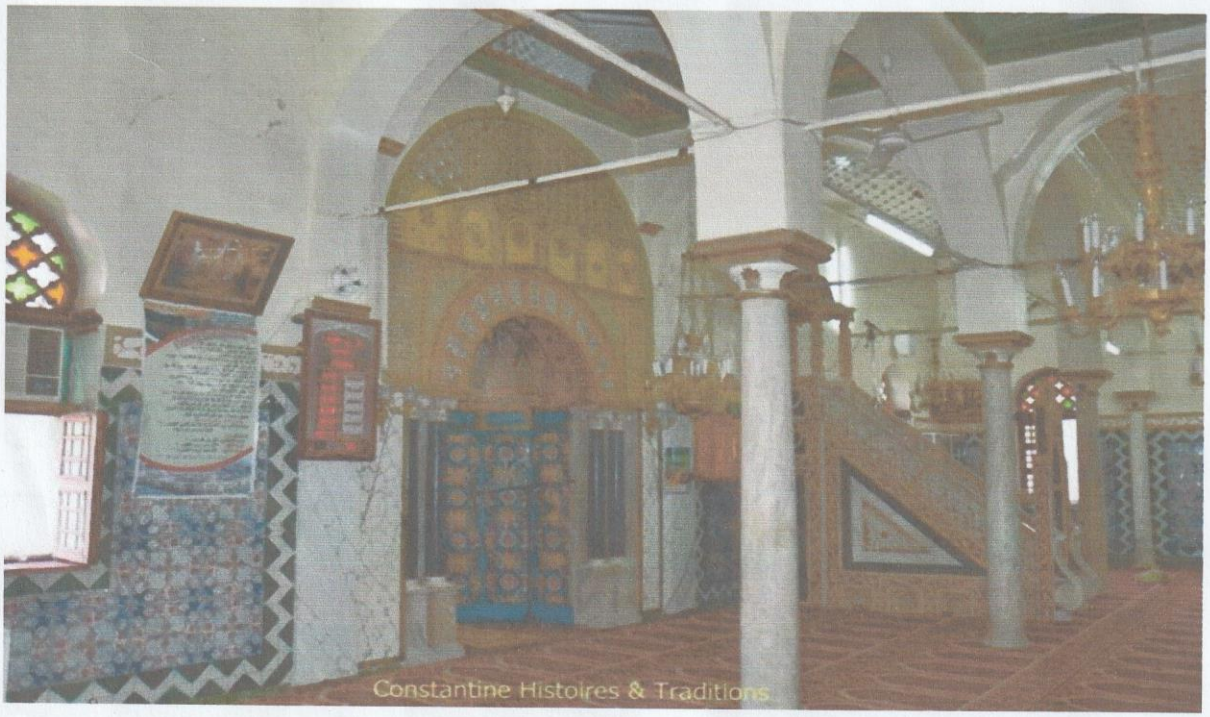

[1] زينب عسلي، معهد الكتانية بقسنطينة ودوره العلمي والوطني مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ ،جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2014،2013،ص ص 53-54.

الملحق رقم (03): مدرسة سيدي الكتاني

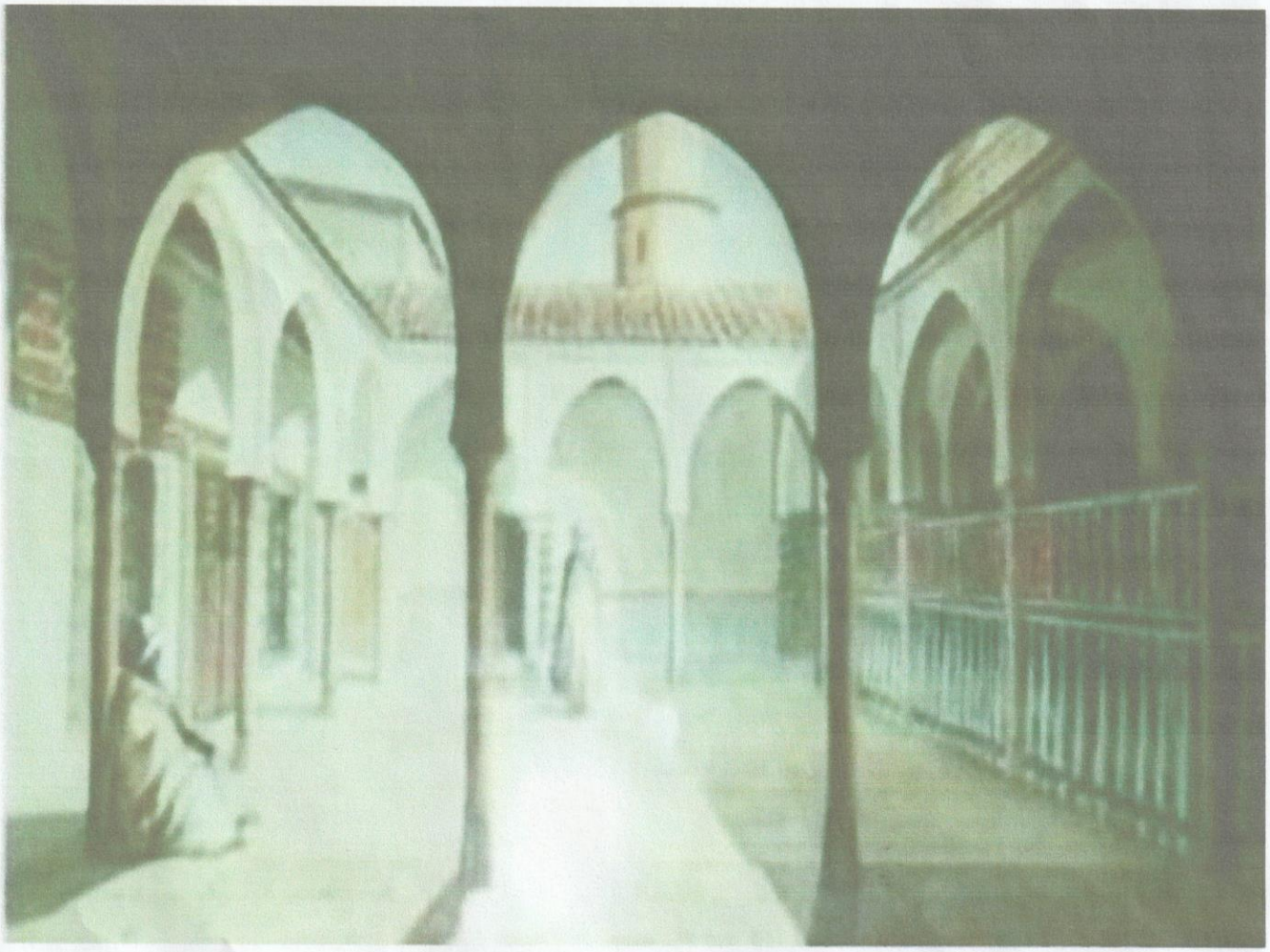

[1] -عبد القادر دحدوح، تاريخ واثار مدينة قسنطينة خلال الفترة الإسلامية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والاوقاف، الجزائر، 2015، ص904.

الملحق رقم (04): صورة لجامع سوق الغزل ومنبره

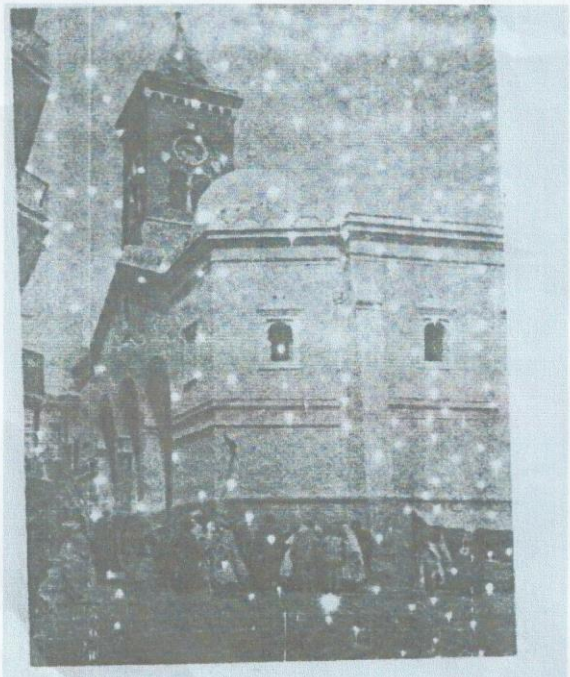

جامع سوق الغزل

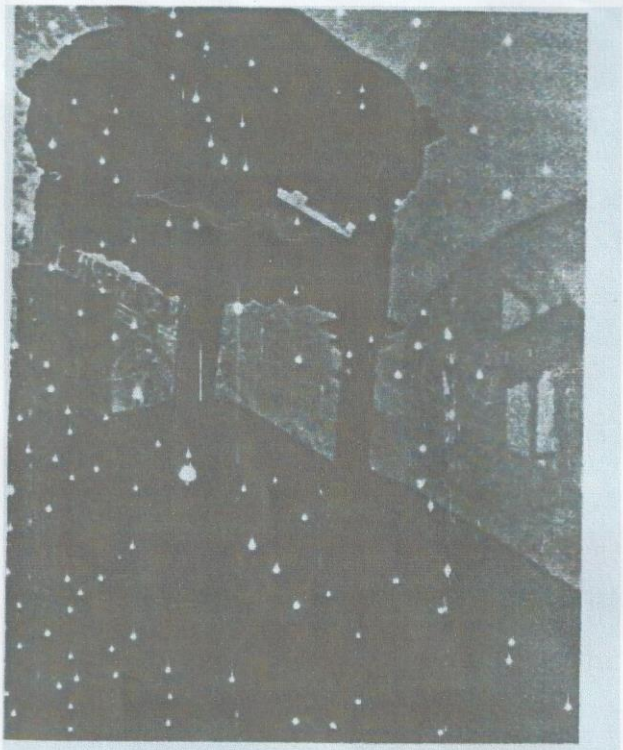

منبر مسجد سوق الغزل

[1] كمال غربي ، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الاثرية، وزارة الشؤون الدينية والاوقاف،الجزائر،2011،ص241-242

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص

أولا: المصادر

أ-باللغة العربية:

1. ابن قنفد أبو العباس أحمد القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي التيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1968.
2. ابن منظور، لسان العرب، ج15، دار صادر، بيروت، لبنان، 2003.
3. أبو العباس أحمد الخطيب ابن قنفد القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، تص، محمد الفاسي وأدولف قور، المركز الجامعي للبحث العلمي، المغرب، 1965.
4. أبو عبد الله المقدسي شمس الدين، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، دار صادر، بيروت، لبنان، 1909.
5. أبي الفناء عماد الدين إسماعيل، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1830.
6. الإدريسي أبو عبد الله الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.
7. الحفناوي أبو القاسم بن الشيخ أبي القاسم الديسي ابن سيدي إبراهيم غول، تعريف الخلف برجال السلف 1906-1907، طبعة بمطبعة فونتانة الشرقية، الجزائر، د.ت.
8. الشريف الزهار أحمد، مذكرات أحمد الشريف الزهار، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
9. الصنهاجي عبد الحميد بن باديس (1308-1359هـ) تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ط2، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 2424هـ/2003م.

10. العبدوي محمد بن محمد علي، الرحلة المغربية، تق: سعد بوفلاقة، مؤسسة بونة للبحث والدراسات الجزائرية، 2007.
11. العنتري صالح، تاريخ قسنطينة، مراجعة: يحي بوعزيز، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1991.
12. الفاسي حسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت.
13. فايست، تاريخ بايات قسنطينة، تح: حساني مختار، منشورات دحلب، الجزائر، 1999.
14. الفكون عبد الكريم، سعد الله شيخ الإسلام، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005.
15. الله البكري أبي عبد، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تح: جمال طالبة، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003.
16. المقرافي، الذخيرة، ج6، ط1، تح: سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994.

ب-باللغة الأجنبية:

1. *Ben Chikh Saida, Boulanouar L'Algérie par ses Archives, Du royaume de Tihert à la Colonitation (Ville-XXE siècles), Edition, Alger, 2015.*

ثانيا: المراجع

1. ابن همام، فتح القدير، ج6، ط1، المطبعة الكبرى الأموية، سولاق، مصر، 1317م.
2. بن عباد إسماعيل، المحيط في اللغة العربية، تح: محمد آل ياسين، ج6، ط1، عالم الكتاب، بيروت، لبنان، 1394هـ.
3. بن عبد الله محمد، الوقف في الفكر الإسلامي، ج1، مطبعة فضالة، المغرب، 1996.

4. بن علي شغيب محمد المهدي، أم الحواضر في الماضي والحاضر، دار البعث، قسنطينة، 1985.
5. بن علي شيب محمد المهدي، أم الحواضر في الماضي والحاضر تاريخ مدينة قسنطينة، 1980.
6. بورويبة رشيد، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، تر: إبراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1399هـ/1979م.
7. الدردير، أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، مكتبة أيوب، كانوا، نيجيريا، د.ت.
8. الريسوني أحمد، الوقف الإسلامي مجالاته وأبعاده، ط1، دار الكلمة، القاهرة، مصر، 2014م.
9. الزحيلي وهبة، الوصايا والفقه الإسلامي، ط2، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1998.
10. الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998.
11. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت.
12. سعد الله أبو القاسم، محمد الشاذلي القسنطيني "دراسة من خلال رسائله وشعره"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
13. سعيدوني ناصر الدين، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
14. سعيدوني ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
15. عشوب عبد الجليل، كتاب الوقف، ط1، دار الآفاق العربي، القاهر، مصر، 2000.
16. فيلالي وآخرون، المواقف السياسية للعلامة عبد الحميد بن باديس ويليه أضواء على ترجمة عبد القادر الراشدي القسنطيني، دار الهدى، عين مليلة، الجزئر، 2012.

17. كمال غربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية ذاكرة الناس، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011.
18. منصور سليم هاني، الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2014.
19. الميلي محمد، ابن باديس وعروبة الجزائر، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.

ثالثا: الرسائل الجامعية

1. آسيا بن شيبان، الأسر والبيوتات العلمية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني 1518-1830، مذكرة ماستر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018-2019.
2. بجلال نصيرة، البيوتات العلمية في قسنطينة ما بين القرنين 7-10هـ/ 13-16م، مذكرة ماستر، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، 2016-2017.
3. براكة ميلود، الأوقاف في الجزائر خلال العهد العثماني ودورها في التضامن الاجتماعي 1518-1830، مذكرة ماستر، جامعة ملاوي الطاهر، سعيدة، 2012-2013.
4. بن دني سلوى، الوقف بمدينة قسنطينة في العهد الاستعماري (1837-1900)، مذكرة ماستر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2015-2016.
5. بوسعيد عبد الرحمن، الأوقاف والتنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة وهران، الجزائر، 2011-2012.
6. جريدي راوية وآخرون، الحياة الثقافية في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، مذكرة ماستر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014-2015.
7. دحدود عبد القادر، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني دراسة عمرانية أثرية، رسالة دكتوراه، 2009-2010.

8. دغموش كاميلية، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة العثمانية (1509-1792م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، الجزائر، 2013-2014.
9. رياض بولحبال، أخبار بلدة قسنطينة وحكامها، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2010.
10. زروقي حميدة، صالح باي ودوره في الحياة الفكرية والعلمية في قسنطينة 1771-1792، مذكرة ماستر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2013-2014.
11. سعودي يمينة، الحياة الأدبية في قسنطينة خلال الفترة العثمانية، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2015-2016.
12. عبيد مصطفى، الجزائر في كتابات توماس (إسماعيل) أوربان 1812-1884، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008.
13. علال بن عمر، الحركة العلمية وبيوتات العلماء في مدينة قسنطينة (ق 7-10هـ/13-16م)، رسالة ماجستير، قسنطينة، 2011.
14. عمار بوطيبة، المجتمع القسنطيني من خلال جريدة النجاح 1919-1945، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009-2010.
15. لزغم فوزية، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2013-2014.

رابعا: المجلات والجرائد

1. بوشريط أمجد، ابن الفكون وإسهاماته في التأليف، منشور الهداية أنموذجا، مجلة العصور الجديدة، ع 18، جامعة وهران، الجزائر، 2015.

2. تيراري مفتاح، التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر منظور الدراسات النفسية التربوية المعاصرة، مجلة الإنسانيات، مركز البحث الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ع 56-57، 2001.

3. عامر محمود، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، ع 117-118، دمشق، جوان 2012.

4. فيلالي عبد العزيز، أبرز علماء قسنطينة وأثرهم في بلاد المغرب والمشرق خلال العهد الحفصي (ق 7-10هـ/13-16م)، مجلة جامعة قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع1، دار نوميديا، قسنطينة، جوان 1990.

5. فيلالي عبد العزيز، جوانب من الحياة الثقافية والفكرية لمدينة قسنطينة في العهد الحفصي، مجلة معهد العلوم الاجتماعية، ع 10، جامعة قسنطينة، الجزائر، أفريل 1988.

6. القاسمي الحسني عبد المنعم، زاوية الشيخ عبد الرحمن باش تارزي بقسنطينة، معقل العلم والقضاء والطريقة والجهاد، الشروق اليومية الجزائرية، 28 أوت 2010.

7. ك.عزيزة، زوايا مدينة قسنطينة منارة دينية ومعالم حضارية، جريدة المساء الجزائرية، 14 أفريل 2014.

خامسا: المعاجم والقواميس

1. سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1421هـ-2001م.

2. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 2014.

3. نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1980.

4. الياقوت الحموي أبي عبد الله شهاب الدين، معجم البلدان، ج4، دار البصائر، بيروت، لبنان، 1977.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحتوى الصفحة

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة .....

الفصل التمهيدي

التعريف ببايلك الشرق جغرافيا وتاريخيا وإداريا

المبحث الأول: التعريف الجغرافي والتاريخي .....

المبحث الثاني: التعريف الإداري .....

المبحث الثالث: مميزات مدينة قسنطينة.....

الفصل الأول

الأوقاف في قسنطينة

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للوقف: تعريفه، عناصر وشروطه.....

المبحث الثاني: أنواع الوقف .....

المبحث الثالث: أهم المؤسسات الوقفية.....

الفصل الثاني

المساجد والزوايا في قسنطينة وعلاقتها بالأوقاف

المبحث الأول: أشهر المساجد.....

المبحث الثاني: الزوايا.....

المبحث الثالث: أشهر علماء قسنطينة .....

الفصل الثالث

المؤسسات التعليمية وعلاقاتها بالأوقاف

المبحث الأول: المدارس .....
المبحث الثاني: الكتاتيب .....
المبحث الثالث: البيوتات العلمية .....
خاتمة .....
الملاحق .....
قائمة المصادر والمراجع .....
فهرس المحتويات .....
ملخص

الملخص:

تتمحور المذكرة حول موضوع مؤسسات الوقف في مدينة قسنطينة الفترة العثمانية بدانا الموضوع بتعريف مدينة قسنطينة عاصمة بايلك –الشرق–وتأثير هذا الموقع علي الجانب الديني والثقافي في المدينة وتطرقنا في المذكرة إلى نقاط عديدة ذات صلة بالوقف ممثلة في مؤسسات المساجد والزوايا الكتاتيب والبيوتات العلمية ووصلنا إلي أن مدينة قسنطينة قد عرفت ازدهارا في هذه المؤسسات خصوصا في فترة صالح باي.

Résumé:

Le mémorandum porte sur la question des institutions de dotation de la ville de Constantine à l'époque ottomane.Nous avons commencé le sujet en définissant la ville de Constantine, la capitale de Beylik - l'Est - et l'impact de ce site sur le religieux et culturel La ville de Constantine a connu la prospérité dans ces institutions, notamment durant la période de Saleh Bey

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع: الأوقاف خلال العصر العثماني بايالك بلشرق أنموذجا (1518، 1830)

إعداد الطلبة:

1- حيلود دنيا رقم التسجيل: 161635101654

2- تقرويشت عبلة رقم التسجيل: 161635107591

القسم: تاريخ **الشعبة:** **التخصص:** حديث

إشراف: د. حمامدة إسماعيل **الرتبة:** محاضر

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2020-2021 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة.

موافقة وإمضاء المشرف(ة):

رئيس فريق الاختصاص

رئيس قسم التاريخ

رئيس القسم

د/ بوقزولة عبد المالك

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28 جويلية 2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز البحث

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): حيلود ديتار

الصفة: طالب، أستاذ باحث، باحث دائم: طالبة

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 200324855

والصادرة بتاريخ: 2016.04.24

عن دائرة: أولاد دراج

المسجل (ة) بكلية: علوم إنسانية واجتماعية قسم: تاريخ

والمكلف (ة) بإنجاز أعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)، عنوانها:

مذكرة ماستر الأوقاف خلال العهد العثماني بايالك الشرق أنموذجا (1518-1830)

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ:

إمضاء المعني

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28 جويلية 2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز البحث

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): نعوشي عبلة

الصفة: طالب، أستاذ باحث، باحث دائم: طالبة

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 204945140

والصادرة بتاريخ: 2019.08.21

عن دائرة: حمام الضلعة

المسجل (ة) بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

والمكلف (ة) بإنجاز أعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)، عنوانها:
مذكرة ماستر: الأوقاف خلال العصر العثماني
بايلك الشرق أنموذجا (1518-1830)

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ:

إمضاء المعني

تم بحمد الله